ازمة

●

كانت الازمة الاخيرة التي مرت فيها « الاديب » [راجع البريد السريع صفحة ٦٨] ازمة تخسير وتخريب . فقد ضعفت امانة احد موظفي الدار بعد ان اغرتها بالمال قلة امانة بعض الناس في انحدار الخلق وتيبس الضمير . فعمد هذا الموظف الى اعمال التخريب في ادارتها والاتلاف في ممتلكات مكتبها ، وسطا سطوه مدفوعا ، متعمدا ، على بريدها الوارد والصادر وعلى ايراداتها المتواصلة .

★ ★ ★

مرت مدة خلال هذا العام ونحن مطمئنون ، بطبيعة نفسنا الطيبة ، وجوهرنا الواثق الامين ، لا تاخذنا خاطرة الشك ولا تثيرنا ظنون المراقبة الى ان فوجئنا بانقطاع بريدنا الوارد وما كدنا نقوم بالتحري حتى لمسنا ان « الاديب » قد تعرضت ليد التخريب القاسية وكان الحصاد اليما :

ــ اتلفت اكثر الرسائل الواردة وروقبت الباقية بعد تسلمها

ــ اتلفت رسائلنا ــ قبل ارسالها في البريد ــ الى قرائنا ووكلائنا واصدقائنا في مختلف جنبات الارض .

ــ اخفيت اعداد الاديب المرسلة الى المشتركين مدة شهرين .

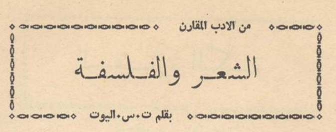
ونحن ما زلنا منذ اوائل هذا الشهر نعمل ، ليل نهار ، لنربط ما انقطع ونؤمن للمشتركين اعدادهم . نتحرى عن اسباب هذا التخريب المقصود والدوافع اليه .

ولقد ثبت لنا ان اليد الخفية المجرمة كانت تبغي تعطيل سير هذه المجلة فلم تجد سبيلا الا اغراء احد العاملين فيها وتدريبه على طرق التعطيل فاوقعت بنا من الخسارة المادية ما اوقعت اعتقادا منها بأنّ توالي الخسائر المادية على هذه المجلة مما يضعف منا روح النضال ويوهن فينا عقيدة الحق ويشل تادية رسالتنا فنلقي السلاح ونستسلم .

★ ★ ★

ستظل الاديب مستمرةً في طريقها تعطي وتبذل وتعارك الزمن . وتتحمل الخسائر المادية الجسيمة في سبيل الربح المعنوي الضخم . وهي ان ترجو امراً في كل ما ترجو فانها تودُّ ان يتصل بها اصدقاؤها وقراؤها الذين لحقهم اثر من هذا التخريب في رسائلهم ، وان يوضحوا لنا الامر رغبة في سير العمل وتنظيما لما تعطل من دقة التنظيم في هذه المجلة .

اما المسيء فعذره ضعف في النفس وضيق في الغاية واما الاديب فعذرها انها رسالة القوة تتلقى برحابة الصدر قساوة الاساءة .



من الادب المقارن

الشعر والفلسفة

بقلم ت.س.اليوت

نقلها الى العربية منح خوري



المألوف عندنا ان ننسب التفكير الفلسفي الى شاعر « كشكسبير » او « دانتي » او « لوكريتس » وننفيه عن شاعر « كسونبرن » او تنسون ، وما ذلك الزعم لاختلاف في نوع « الفكر » ولكنه لاختلاف في نوع « الشعور » : فالشاعر « المفكر » هو الشاعر الذي يستطيع ان يعبر عن المعادل الشعوري لمادة الفكر ، من غير ان يكون ملزما بتركيز اهتمامه على الفكر نفسه .

تعودنا في حديثنا عن الفكر والشعور ان ننعت الاول بالوضوح ، والاخر باللبس والغموض ؛ والحق ان التعبير عن الشعور الدقيق ، يقتضي من المكنة الفكرية ، بقدر ما يقتضي التعبير عن الفكر الوضيء . المقصود بالتفكير هنا ، هو اذن شيء آخر يختلف اختلافا بينا عن كل ما نجده عند شكسبير . ومهما كانت كثيرة آراء المعجبين بهذا الشاعر كفيلسوف كبير ، فهي على كثرتها عاجزة كلها عن ان تعين له اية نزعة فكرية ، او اية نظرة كلية ، او اي نظام فلسفي متبع . يقول « وندهام لويس » : « ادلتنا كثيرة على آراء شكسبير في البطولات الحربية » ؛ ونحن نتساءل ما اذا كنا نملك شيئا من ذلك حقا ، وما اذا كان شكسبير قد « فكر » في شيء على الاطلاق . يقيني انه كان منهمكا في صوغ الاعمال الانسانية شعرا .

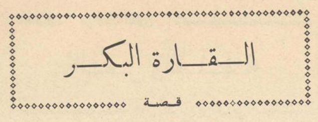
اقول ليس في مسرحيات شكسبير اية فلسفة ، ولكني لا اعني بذلك تجريد هذه المسرحيات من كل فكر . فالشعر الرفيع يوهمك كله بانه يتضمن نظرة الى الحياة ، ونحن اذ نلج عوالم هوميروس وفرجيل ودانتي وشكسبير ، نجنح الى الاعتقاد باننا نفقه شيئا يمكن التعبير عنه فكريا : ذلك ان ما دق من الشعور واتضح ، يستوي وحقيقة الفكر عند التعبير ، وان ما نسميه فكرا ليس في الواقع غير شعور واضح .

قد نتخدع بما في شعر دانتي من الخصائص الفكرية ، فهو في اعتقادنا شعر فلسفي يمثل نظاما فكريا صحيحا ؛ وما دام « لدانتي » فلسفته ، فنحن نحسب ، على سبيل القياس ، بان لكل شاعر كبير فلسفته كذلك . ثم اننا نعلم ان بين شعر دانتي وبين النظام الفكري الذي وضعه قبله القديس توما الاكويني كمال مؤاتاة ، فنستنتج من هذا انه لا بد ان يكون بين شكسبير وبين من سبقه من المفكرين « كسينيكا » او « مونتيني » او « ماكيافلي » علاقة مماثلة؛ فاذا تعذر علينا ايجاد الشبه ، انتهينا الى القول بان شكسبير قد استقل عن اولئك المفكرين ببعض الاصالة الفكرية ، وانه كان خيرا منهم في مجال اختصاصهم .

اني لا ارى موجبا للاعتقاد بوجود فلسفة شكسبيرية او دانتية على السواء ، والذين يعتقدون بان شكسبير قد شغله التفكير الفلسفي ، قوم لا يعالجون صناعة الشعر ، ولكنهم لا محالة ممن يعنون بشؤون الفكر ؛ ويطيب لنا جميعا الاعتقاد بان مشاهير الرجال كانوا مثلنا من المفكرين .

الفرق بين شكسبير ودانتي هو ان دانتي قد جاء على اثر قيام نظام فكري متماسك ، وكان ذلك ، بالنسبة اليه ، مجرد اتفاق لا علاقة له بالشعر . فقد شاءت الظروف ان يكون الفكر في عهده رائعا قويا منظما ، وان يكون ممثلا في رجل فذ العبقرية كالقديس توما الاكويني ، ولهذا لقي شعره رواجا ما كان ليلقاه لولا فكر ذلك الرجل الذي يضاهيه نبوغا وعظمة . غير ان هذه لم تكن حال شكسبير مع سابقيه من رجال الفكر الذين تخلفوا عنه في تفكيرهم اشواطا بعيدة . من هنا كان لا بد من الوقوع في احد خطأين :

اولهما ان نعتبر شكسبير شاعرا عظيما كدانتي ، ولا بد له في هذه الحالة من ان يكون قد استكمل بنبوغه الفكري الفارق النوعي بين الاكويني من جهة ، وبين «سينيكا» و « مونتيني » « وماكيافلي » من جهة اخرى . وثانيهما : ان يكون اقل من دانتي مرتبة شعرية . الحق انه ليس لشكسبير او لدانتي اي تفكير فلسفي ، لان هذا التفكير نفسه لم يكن ليشغل احدا منهما . اما القيمة النسبية للفكر السائد في عصريهما – للمادة الفكرية المعروضة على كل



القارة البكر

قصة

بقلم الانسة سميرة عزام

°°
°

— تدرين يا عزيزتي ؟.. كنت احسك قربي وانا عاكف على رسائلي اكتبها فاطيل وكان يغيظني ان تاتيني اجاباتك قصيرة مبتسرة كالبرقيات كانما انت تدفعين بها واجبا ليس الا ..

— يجوز ان نسميه عتابا ترى بماذا تبررين موقفك ؟..

— ترى بماذا تبررين موقفك ؟..

— لا ادري لعله الكسل او لعلي اعاني من عقدة (رسائل) .. اشعر معه بانني لم أعد احسن كتابتها ..

— وهل كنت تحسنين يوما ؟

— اجل .. بدليل ان احدى صديقاتي كانت تستكتبني رسائلها

— اما كانت صديقتك هذه قادرة على كتابتها بنفسها .

— لا فهي ما تعودت ان تكتب .. الكتابة تستلزم فهما وما كانت صديقتي اكثر من قارئة !

— ما فهمت بعد سر العقدة .

— اذن فانت مصر على ان تعرف .. حسنا لقد كنت احس بنفاقتها وهي تسربل عواطفها بكلماتي .. لقد كانت

منهما ليستعملها مطية لمشاعره ، فليست كبيرة الاهمية ، لانها لا تجعل من دانتي شاعرا اكبر ، ولا تعني ان ما قد نتعلمه منه يفوق ما قد نتعلمه من شكسبير . اما ان يكون ما نستمده من الاكويني ، في مجال الفكر ، خيرا مما يمدنا به « سينيكا » ، فتلك حقيقة لا ريب فيها ، ولكنها على كل حال قضية اخرى : ففي قول دانتي : « ان في مشيئته سلامنا » ، شعر رفيع ، يحتوي فلسفة رائعة ؛ وفي قول شكسبير :

« وكالذباب للصبية العابثين ، هكذا نحن للالهة ... يقتلوننا تلهيا بنا » . شعر رائع كذلك ، وان كان لا يتضمن فلسفة عظيمة . المهم ان كلا من الشاعرين قد عبر بلغة مثلى عن بعض الدوافع الانسانية الخالدة ، فالقول الثاني من الناحية الشعورية يضاهي القول الاول قوة وصدقا ، وهو مثله جليل النفع ، بالمعنى الذي يكون فيه الشعر نافعا مفيدا .

ان ما يبدا منه كل شاعر ، هو مشاعره ، وفي مجال المشاعر هذه ، ليس ثمة كبير اختيار بين شكسبير ودانتي فتجديف دانتي واحقاده الشخصية المتسترة احيانا وراء نقاب شفاق من وعيد العهد القديم ، ثم حنينه واسفه المرير على سعادة فائتة ، او ما توهمه سعادة فائتة ، ومحاولاته الجريئة لخلق الباقي ، المقدس من الآثار ، كما في في « الحياة الجديدة » كل هذا ، يمكن ان نجد له مثيلا في شعر شكسبير ، وشكسبير هو الاخر كان منهمكا في صراع يكفي وحده لابداع شاعر . صراع تحويل آلامه الشخصية الى ما هو عام ولا شخصي . وليست غضبة دانتي على فلورنسا او بستوا .. ولا تلك الموجة العارمة من السخرية في شعر شكسبير ، غير محاولات جبارة لطمس ما لقيه الشاعر من الخيبة والفشل . ان الشاعر العظيم بتعبيره عن ذاته يعبر عن عصره كله . هكذا كان دانتي صوت القرن الثالث عشر وهو يكاد لا يدرك ذلك ، وهكذا كان شكسبير ممثلا للقسم الاخير من القرن السادس عشر ، ولنقطة تحول في التاريخ وهو الاخر يكاد لا يدرك ذلك ، غير انه من العسير التثبت من ايمان دانتي بالفلسفة الاكوينية او عدم ايمانه بها ، كذلك من العسير التثبت من ايمان شكسبير او عدم ايمانه بما كان في عصره من الفلسفة الشكية الحائرة .

ولو ان شكسبير نظم شعره وفقا لفلسفة اكمل ، لجاء بالاسوأ من فنون الشعر . كان همه ان يعبر عن اعظم ما في عصره من الازمات الشعورية على اساس ما كان شائعا في ذلك العصر اتفاقا من انواع الفكر .

ليس الشعر بديلا عن الفلسفة ، وليس هو بديلا عن الدين ، او اللاهوت . ان للشعر وظيفته الخاصة : وهي وظيفة شعورية لا يمكن تحديدها بالفاظ الفكر ، وانما يمكن القول بانها تمنحنا « المؤاساة » ... مؤاساة غريبة ، يهبنا اياها شاعران مختلفان اختلافا عظيما كدانتي وشكسبير .

الجامعة الاميركية ببيروت — منح خوري

تبدو كلمة (يا حبي الاول) التي تصر على ان استهل بها كل رسالة .. تبدو باهتة .

– اكان حبها الاول حقا .

– لا ادري كانت الرسالة في كل مرة الى شخص مختلف

– هذه منافقة

– ما احب ان نقسو عليها .. لنسمها طالبة بخت ..

– وهل تزوجت ؟

– لم يكن ابوها من ذوي المؤهلات .

– عجيب .. تراني ...

– لا لا اقصد كنت اتحدث عن صديقتي فقط ..

– ايمكن ان يكون في حياة كل انثى اكثر من حب ..

– قد لا يكون في حياتها اكثر من حب ولكن قد يكون هنالك اكثر من شخص ..

– تعنين ...

– لا اعني شيئا ...

– انت غريبة اليوم ، دعينا من الغازك الان .. لقد توقعت ان تشيري في رسائلك الى اشياء معينة ، فالمرء على الورق يكون اكثر جراة ، انت لم تحاولي – مثلا – ان تسأليني عن ماضي .

– ولم اسأل ؟

– الا يهمك ماضي ؟

– ستتحدث الي بنفسك عن هذا الماضي دون ان اطلب اليك ستنبش كل كبيرة وصغيرة فيه .. وحتى لو لم يكن هنالك ماض فسيسعفك خيالك باقاصيص كثيرة .

– تقصدين انني احسن التلفيق ؟

– لن يكون الامر تلفيقا ، بل ترجمة لاحلام مراهقتك .. وستلمع عيناك – ككل شرقي – وانت تحدثني عن السمراء والشقراء والطويلة والممتلئة .. عن الثرية التي رفست ثروتها بقدميك لانك تبغض ان تشتريك امراة .. وعن المنطقة التي رفضتها لانك لا تريد بقايا جسد .. وعن المومس التي تعلمت الفضيلة على يديك .. ستكون هنالك بنت الجيران وفتاة البار وزميلة الكلية ... عشرات منهن .. لا تغضب يا عزيزي تراني آذيت رجولتك ؟

– انت ...

– ماذا ؟ قلها !!

– سأؤثر الا اقولها ..

– اذن اسمح لي ان اسمي نفسي صريحة ... على فكرة الكلمتان في مفهومنا سيان .. ان الامر يعتمد على الطريقة التي نلفظ بها الكلمات .

– ومع ذلك احبك

– يجب ان اصدق والا ما كنت خطبتني ..

– وقد احببتك مدفوعا باكثر من سبب

– الى جانب حبك لي ؟ ما شككت في هذا قط ..

– ها قد عدنا الى الغمز .

– لا تدر بالا ، قل لي لماذا احببتني ؟

– يجب ان اعترف اولا بانك جميلة .

– لست اجمل من اي من بنات عمك ..

– وانت مثقفة ..

– قد استحق الكلمة ، ما دمت لا اقصد صديقاتي ليكتبن رسائلي .

– وانك فاضلة ...

– الا تقف هنا قليلا ؟

– ولم الوقوف ؟ ان لك كل ما يمكن ان يسمى في مصطلحاتنا فضيلة .

– نحن فضلاء بقدر ما يجهلنا الاخرون .. الا يحسن بنا ان نحدد المفهوم اولا ؟

– لا افترض ان يكون للفضيلة اكثر من مفهوم .

– انت تتحدث كما تتحدث امي .

– وماذا تقول امك ؟

– في ماذا ؟

– في المراة الفاضلة مثلا ..

– مثلما تقول انت .

– اي مهذبة ، رزينة ، عاقلة ، ليس لها تاريخ ...

– تاريخ مدون !!

– ماذا تعنين ؟

– ان النساء سريعات النسيان يا عزيزي ، بعكس الرجال

– كلهن ؟

– اجل ، اذ لا يهون عليهن ان يقامرن بكلمة فاضلة ، فالكلمة جواز سفر ضخم كما ترى ...

– لقد اثرت فضولي ..

– يسعدني هذا

– هل اغضبك لو سألتك سؤالا ؟

– ابدا ، ولكنني اخشى ان يغضبك جوابه ..

– انت تحادثين مثقفا

– حسنا تفعل اذ تذكرني ..

– هل ... هل جلست يوما الى مائدة قمار ؟

– اوه دعك من اللف والدوران ، وتحدث مثلي .

– اكانت هنالك رسائل ؟

– بلى ...

– !! لنفرض انك استعملت نفس استهلال صديقتك في رسالتك الي .. فماذا كنت تقولين ..؟

– (يا حبي الثاني) ..

– احقا .. اذن ...

– اجل مرة واحدة ...

– تكلمي ... قولي ...

– لا تنفعل .. ام تريدني ان اذكرك بانني احادث مثقفا .

– هل احببته ..

– ليس كحب رفيقتي .. احببته الى درجة اشعر معها بالضعة لو بدات حياتي معك دون ان ادعك تضع يدك على ذاتي ...

– متى كان هذا ؟

– قبل سبع سنوات ..

– وما زلت تتحدثين عنه بهذه الحرارة ؟

– عندما لا يموت المرء من الشيخوخة يظل في خاطر احبائه شبابا ...

– اكنت تؤثرينه علي ؟؟

– هذا اذا كانت ذاتي الحقيقية هي التي تختار

– من الذي اختار اذن ان لم تكن

ذاتك ؟

ــ امي ، ابي ، اخوتي ، شعوري بالضعف .. اسئلة الناس لي لماذا لم تتزوجي بعد .. الحاح اهلي علي في ان افعل .. لقد بت اشعر بانهم يضيقون بي ..

ــ ولم لم ينته امرك مع (حبك الاول) الى ما تشتهين

ــ كان صغيرا فقيرا لا يملك ان يكون زوجا من مستوى مفهومات امي ..

ــ اكان يهمك ان تعجب به امك اولا ؟

ــ كنت اخشى ان افقد حبها .. ولقد عرفت كيف تضرب حولي حصارا وتبعثر حلمي الازرق .. لم يكن هينا علي ان اتصور ابي يمشي خفيض الراس كما كانت تقول .. وامي تموت من اساها .. وعمري يتمزق بين يدي شحاذ ..

ــ هي ادرى بمصالحك ، اكنت تريدينها ان تساير اوهامك ؟

ــ لم يكن وهما كان حبا حقيقيا ما تزال رائحته في قلبي ..

ــ انت جريئة

ــ جريئة ، صريحة ، وقحة قل ما شئت ، لقد لفظت حقيقة يتعبني كتمانها ..

ــ كان الامر لا يعنيك ..

ــ بل يعنينا كلانا .. انا وانت .. انا اريدك ان تعترف بي كلا لا يتجزأ لا مخلوقة يبدأ تاريخها منذ باركتها بنظرتك .. هذا حقي وما اختلقت قصة اختبر بها عمق حبك ..

ــ اما كنت تخشين ان تفقديني ؟

ــ افقدك ؟.. انك ظريف .. انا اعلم اية دوافع جرت الواحد منا للاخر .. فلم النفاق ؟ الا تؤمن بان الصراحة اقدر في ظرفنا ـ او ظرفي على الاقل ـ على بناء حياة لم تستملك من المقومات بعد الا المظهرية ؟؟

ــ انت قاسية

ــ لا الومك اذ تقول هذا .. الواقع انني اعذرك

ــ تعذرينني ؟

ــ اجل كما اعذر صاحب العمارة الذي علق يافطات باسمه على الجهات الاربع للعمارة التي اشتراها اذ غاظه ان يرى الرسائل ترد للمستاجرين تحمل اسم المالك القديم.

ــ اتظنين الغيرة ؟

ــ قد لا يكون هذا كل ما في الامر؟

ــ لا تركبي راسك .. انا لا اصدق حرفا واحدا مما قلت ..

ــ صاحب عمارة ايضا !

ــ لا تثيريني .. قولي بانك لفقت الحكاية

ــ انا لم الفق شيئا ..

ــ اذن ما الداعي الى اثارة كل هذا الان .؟

ــ لا ادري كان يتاكلني الغيظ احيانا حين اسمعك تتحدث الي عن تجارب الحياة وقد اخذك الزهو وكانما انت تحادث انسانة لا حق لها في ان تمارس تجربة ، ان تتذوق انتصارات الحياة وانكساراتها ، انسانة لم تولد الا منذ عرفتها .

ــ اذن فهي عملية تشفي . .

ــ بوسعك ان تسميها هكذا ما دمت مصرا على ان تجردها من اعتباراتها الادبية ، انا اسميها صراحة وانفتاحة .

ــ الا بئست صراحتك وانفتاحتك هذه . أتعلمين بانني اكره مثل هذه الدعابات ؟؟

ــ اجل بقدر ما تكره ان احرمك من شعور كولمبس !!

سميرة عزام

الافاعي

•

لوليم وردزورث

لقد دنا القمر من أعالي السماء ، وتدلى .
كان ينساب برقة ورشاقة ولطف ،
بين النجوم المتوهجة المرتعشة .
لكاني بكوكب أو بكوكبين وقد احاطا
به والتفا .
ان اشعته بدأت تسخر منها لجة البحر اللافحة
كما تسخر من صقيع الربيع الاشيب الارض
التي يربض عليها .
ولكن حيث ينبطح ظل السفينة الضخم العظيم
تجد الصمت الموحش والرعب الاحمر .
لقد رايت على مسافة من ظلال السفينة تلك ،
عددا من الافاعي المائية ،
تنساب ، حيث الاشعة المتلألئة البيضاء
تتغازل على صفاء المياه ، ولكنها
حين تفر مدبرة
يتناثر الضوء المجنون كشظايا الثلج .
وفي ظل هذه السفينة الباهت الرقيق ايضا ،
شاهدت أزياء الافاعي الفذة الرائعة :
اكسية زرقاء لامعة ، وخضراء لئلاءة ،
فسوداء كالمخل .
لقد كانت تتكور آنا وتذهب سابحة آنا
مخلفة وراءها آثارا تومض بلهب الذهب .

بغداد **كاظم الخليفة**

اســوار

مهداة الى اخي يوسف

•

لجبرا ابراهيم جبرا

بغـداد

✷

تحت الاسوار اسوار
تحتها اسوار ،
اور واريحا ، نينوى ونمرود ،
وعلى الانقاض حيث آهات العشاق قد تلاشت
وتلاشت طقطقة اسنان الاسرى العراة ،
تلال تخضر في الربيع
يأهلها النمل والصراصر ، ويأوي اليها
راعي القرية في الضحى
يستشعر بقايا الندى
من بين الخرق التي على ظهره :
تحت زمكه راس رُكبَ الملايين له انثنت
وعطرته ايدي الحسان .

★

ويلي يا ويلي يا ويلي
قنّعي نوح قلبك بالغناء ،
نزل ابنك الوادي
ثم طوّف في القفار ،
حيث الحسان متلفعات
بالتراب يمشين على الاسوار
تحتها اسوار واسوار .

★

وفي الصحاري مدن يدخل قاعاتها
فلا يرى سوى الجدران الطويلة
تخترقها كوى عمياء ،
والارض الرخامية تمتد خاوية

★

تتدحرج فوقها بقايا اصوات المغنين .
ليلي يا ويلي ، راح المغنون
وراء الروابي ، حيث النمل والصراصر
والملوك المرمريون ينتظرون
بلا امل ، وروث الحمير يكسو
تاريخ الدول وذكر الفتوح وسفك الدماء .

★

قنعي الشوق ، الا قنعي ،
شوقك وشوق البنين الاخرين ،
تحت أقدامهم شبق السنين
يعدو لحمهم ، وهم منطلقون
بين الاسوار المنيعة وهي تنهار ،
يجمعون ريان الشفاه
في كؤوس من خزف
ويقطرون عصارة الشريان والوريد
ليرسموا شهوة الليل بها
على صفحات من حجر .
النسر يصيد الشمس بمنقاره ،
وتدر الافعى بحكمة سمها .
قنعي الشوق ، الا قنعي ،
والبسي أساور الفضة والنضار ،
اساور الشوق والعليق .

★

اور ونمرود ، والبغايا المقدسات
في هياكل بابل وبيلوس
يقدمن للغرباء اجسادهن
لتخضر الروابي (فوق اسوار المدن)
وترتعش السنابل بالذهب والشقائق بالنجيع ؛
تحب مخالب الحداة والغراب .

★

شفاه الثيّبات والابكار عطشى
(الا قنعي جوعك قنعي)
اذ يطول الليل على الاسوار
تحتها اسوار
تحتها اسوار .



أربع كلمات في أربعة أسابيع

يكتبها
الياس خليل زخريا

●

... لن ينزل عن برجه ... مقيم ، فوق ، على سدرته وتاجه وصولجانه وطيلسانه .

تحطُّ، عنده، على الشرفة، جوارح النسور القديمة يقطر الدم من مناقيرها المنعقفة . وتتجمد على اظافرها القاسية أوحال الزمن . وتحوم في عينيها لهب الشهوة واشباح الجثث النتنة

فيخرج في الضجر الى الشرفة يطرد النسور بطرف عصاه ، فتسبح حول برجه ويظل بصرها عالقا بالارض ويظل جناحها منبسطا على الريح . تصفر فلا يعكر صفيرها صفاءً مسامعه . وتنزل متعبة ثم تنحدر انصبابا الى التراب ثم تحط على جثة تنبش بقايا جثة . ويظل ذاك النسر العجيب ، فوق ، في برجه ... متحصنا في برجه ...

له جناح النسور ، وليس له اظافرها القاسية له بصر النسور وليس له شهوت عينها الدامية وله وثبة انطلاقها وليس له وثبة انحدارها يحب اللحم والدم ولكنه لا يضرب منقاره الحاد في دم يابس او لحم نتن ويحب الريح وركوب الريح ولكنه لا يبسط جناحه في الريح

تعلم ، وهو يحسبُ في صغره ، نسمات الهواء واحدةً واحدةً ، تعلم ، ان يجعل الريح مركبة طيّعة ، مجنحة ، في رحيله وطوافه . ويحب السؤددَ ولكنه يكره ان ينزل في السؤدد الى حومة المستنقع بين القصب الاخضر والطحلب حيث الف ضفدع ينق وضفدع ويحب القنص ولكنه كلما رأى الفريسة قد هان جانبها رفع من جانبها الى برجه ثم قذفها من اعالي برجه الى بطن الارض بين الموت والحياة لتتعلم الفريسة كيف تتطلع الى برجه على الحقد والكره والعياء . ويحب الجثة النتنة ، وتنانة الجثث النتنة ، ولكنه لا يكاد يشعر ان النتانة تكاد تتسرب في مسارب انفه ومسارح انفاسه ، حتى يستل اجنحته واظافره ويقذف بنفسه في مصهرة الضوء عند الشمس بين منازل الزمن ومرافيء المقادير .

... حدثوه عن الوداعة فداواها بالكبرياء .

... حدثوه عن السكينة فداواها بالتمرد

... وعن الوفاء فداواه بالغدر وعن الشفقة فداواها بقساوة الاظافر وخشونة المناقير

... وعن الالفة والتآلف فداواها بالبصر الذي يحتقر احتقارا ويزدري ازدراء ، وبالكلمة التي تجرح جرحها ، العميق ، فتتمزق الاواصر .

وحدثوه عن الطمأنينة والرخاء فداواها بالقلق الذي لا يعرف الطمأنينة وبالهم الذي لا يعرف الانتهاء .

وحدثوه عن الطيور المعذبة عذابها وشقاءها بين

سواحل الجبال وملاجيء الاودية ... لا حبة
لتأكل ، لا حشرة لتصطاد ، لا لقمة لتنتزع ..
فرمى عينه من مشارق برجه في أسراب
الطيور المعذبة ، فلم يحرك في صدره المها
عذابا ولا اثار جوعها وشقاؤها في نفسه
جوعا او شهوة الى الشقاء .
وتناول عصاه يكشح بها النسور كأنه يدلها
على فريسة او ينبهها الى طعام .
برجه .. لم يبن له احد برجا
... شيده بيده لبنة لبنة ...
اساسه ... ليس لبرجه في الارض اساس .
وقبابه ... ليس لبرجه في الفضاء قباب .
وشرفته ... ليس لبرجه في مطلع الشمس شرفة .

* *

... برج عجيب ...
كأنه من خيال الاساطير في ليالي الزمن .
كل حجر فيه اسطورة مشلولة تتحرك .
وكل نافذة فيه شهوة متفجرة تلتهب
كأنما بناه من اكداس الجوارح
كأنما ... رفعه على اركام الرياح .
كأنما ... صبه من آنية العجرفة والصلف .

شامخ ... وهو فيه ...

... لا ينزل عن برجه ...

... عاج صبه على عاج ...

لتسقط تحت برجه شهوة المدينة . لتنهار عند
سفوح برجه آلام الطيور
... أي شيء يزعج باله ...؟
أي عظيم ، أي امر عظيم يعكر صفوه ؟!
آنية الذهب آنيته ومياه الكوثر مياهه .
وله عرش ... ما سقط على الارض يوما عرشه .
وله سدرة ما تزحزحت عن الافق سدرته .
وصولجان... اعظم بصولجانه ما هدأ صولجانه .
واجنحة ما نثر الزمن من ريش اجنحته ريشا .
ساكن في برجه . يرى كيف تتعارك الطيور
في قرارة نفسه ويكبّر صلفه في كبرياء نفسه .
ويرى كيف تتصالح الطيور وكيف تنسى عند
الجوع والعطش والشهوة جراحها المفتحة
وكيف يغدر العقاب بالبلبل الشادي ، والبلبل بالشحرور
وكيف يغدر الزرزور بالحدأة ، والحدأة بالقبرة
واخت البيدر بديك الساحة عند الظهر في
ساعة التبصر والصفاء

لن يحط جناحه بين الاسراب واقفاصها المفتحة
... جمعوا امرهم عشاء ... فلما
اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء
... لا ضوضاء في برجه او صدى ضوضاء .

بنى لنفسه برجا فبنت الطيور لانفسها اوكارا
تتشبك في اوكار ...
وتطاحن اهل الاوكار يتشادون بالاذناب والقوائم
ويتلاوون سراديب المرافيء فأفأة ووأوأة وضوضاء

... لا تأمل في ضوضائهم ...

... لا شهوة عميقة في شهواتهم ...

... لا ثورة ملهبة في نارهم ...

ولا تطلع بعيد في انوفهم

... ولا تبصر هادىء في جباهم

... ولا منازل آلهة في اجنحتهم

... ولا صلابة القدر في اظافرهم

ولا قداسة البخور المحترق في انفاسهم

... ولا تحصن المتمرد في تمردهم

... ولا بطولة الشجاعة في شجاعتهم
ولا عظمة الكلمة ، الكلمة الثائرة ، في اصواتهم

مستنقع كلـه نقيق . رصيف كلـه انحـدار
ملجـأ كله أنـين . هيكل كله فرِّيسيَّـة

* * *

... مـأتم ...

... يتطلع فيرى منـازل الطيـور مواكـب مأتم
يحب الجريمة عـلى ان تكون كلها جريمـة
ويحب الحسنـة على ان تكـون كلهـا حسنـة
ويحب الفروسية على ان تكـون كلهـا فروسيـة
كـانت النسـور القديمة اذا اشتـد بهـا الشر
ادارت ظهـرهـا ودفعت في معـركة الشر رأسها
وصدرها ولـم تلتفت في شدة العـراك الى الوراء
كـانت النسور القديمة ان لـم تجـد طعـامهـا
اكلـت لحمهـا وان لم تجد مـاء مصت ماءهـا
وان لـم تجـد برجـا تنـزل فيه جعلـت
مـن جثثهـا فـوق برجـا تتحصن بـه
وتشرف منـه وتطـل وهي تحمـل الزمن بين
اقـدامهـا غبـارا وضبـاب غبـار .
كـانت النسور القديمة اذا طال غياب الشمس
شقت بـاب السمـاء بطرف جناحهـا لتنتزع من
بـاب السمـاء وجـه الشمـس المحتجبـة

* * * *

ليست الكلمة خبزا ومـاء ، ولكنهـا جوع ينبت
الخبز وعطش يفجر المـاء ...

ليست الكلمة عبثا ، ولهوا ، ولكنها قدس لا يلمسه
الا الكـاهن ، الكـاهن ، الذي يعـرف كيـف
يرفع الصلاة وكيـف يـرسل في الطلـب صوت
يرفع الصلاة وكيف يرسل فـي الطلـب صوتَ

السماء الصارخ الـى صـوت العـدم الصارخ .
والادب نسر يتحصـن فـي بـرجـه
ليس الادب في أباريق الزمن شراب الفقراء
الادب قـوة . الادب ضخـامـة القـوة .
الادب كبريـاء وترفع وتـأله
القوي هو العـائش في حصونه على مناعة حصونه
والادب مناعة الحصون تتحطم عندها جباه الاقوياء
لتسلم جبـاه الجبـابرة
اما الضعفاء ، اما الاقوياء العائشون في الضعفاء ،
فزادهم انهـم مـن غـير زاد ومـاؤهم انهـم
من غير ماء ، وعظمتهـم انهم مـن غير عظمـة
... تراب كومة على تراب
... وجثث حطام علـى جثث
وهو فوق حصونه لن ينحدر الى احيـاء المستنقع
... قال ـ ومـاذا نصنع بالتـراب ... ؟!
قالت ـ ادفنـوا فيـه الطيـور التـي تعيش
على التراب امـا المـوت فـلا يعـرف الرحمـة .
قامت الحـداة امس تسـد الـوكر الضيق على
قبـرة البيـادر
لم تتغير نكهة القمح ولا انحنت جبهة السنابل
ولا انقطع خير الموسم ولا جفت شفاه الاباريق
من سلسبيل الحرف وبراعة ، وبراعة انيقة عجيبة،
تخـط الحصـون علـى وجـوه الـورق
ستظل الطيور في مستنقع الدنيا تتمرغ في الطين والوحل
وسيظـل ذلـك النسر في برجـه العاجي لا
يشرب الماء الا مـن شفـاه الاباريـق التي
صبتها يد الله ، من عصارة الشمـوس عـلى
مجامر الشـوق المقدسة في هياكل الزمـن .
تحصن في برجـه علـى تاجـه والصولجان
الادب برج العـاج في برج الـذهب

الياس خليل زخريا

النار

هل في حنين المستهام لغابر ما يستثير حفيظة من زاجر
اشجاك ان هتف المشوق بوجده وارنَّ ملتاعاً بنفثة زافر
ما ذنبه وهو الكتوم لسانه ان نمَّ مدمعه بوحي الخاطر
ما كان بالميسور كتمان الهوى عين المحب نوافذ لضمائر
والوجد كالنيران ليس رسيسه سراً يدق جليله عن ناظر
كم في الهوى والنار من متقارب ومشابه في باطن اوظاهر
هل كان وجد القلب الا صورة للنار يسطع من خلال محاجر
والنار واحدة وموصوفاتها شتىً يضيق بها بيان الشاعر

* * *

ومسائل يرمي لكشف حقيقة عن جوهر النار المضيء السافر
ما انفك يبحث دائباً ومنقباً فارتد من فشل بخيبة خاسر
ملكت عليه النار وهي حقيقة رحب الفضاء بسرها المتنافر
صور كما شاء الخيال كثيرة للنار في حلل بدت وستائر
في كل آونة تروعك صورة تفتر عابثة بمبسم ساخر
صور يعريها اللهيب وتارة تضفي عليها النار فضل مآذر
تُعرى وتُكسى بالضرام وتنطوي لمحتجب يبين كحاسر
وتخال اعمدة اللهيب موائجاً اغصان ادواح تلين لهاصر

* * *

وقوارب للنار راحت ترتمي في شبه ملتطم الخضم الزاخر
مخرَت على لجج اللهيب وصفقت بشراعها حين المسير كطائر
راياتها بيد اللظى منشورة نشر النسيم مدغدغا لضفائر
وتخال مسودَّ الدخان سحائباً عُقدت على مربد يم ثائر
واذا الرياح تجاذبته حسبته افواف غانية ووشي ستائر
وترق اغشية الدخان وتنجلي كالليل في وضح الصباح السافر
والنار من خلف الدخان تدافعت وتلاطمت تغري بمخلب كاسر
فغرت فما لا ترتوي شهواته كالموت ليس لجوعه من آخر

* * *

وترى شواظ النار مدَّ شراعه وجرت قواربه ببحر فائر
موج من النيران ليس لمده زجر وليس لغيه من زاجر
عصفت به ريح المنون وامطرت شرراً تساقط مثل غيث هامر
طلعت غواربه بحمر مشاعل وتتابعت مشبوبة بمجامر
وانداح سيل للظى اثباجه ريب القضاء وصرف دهر غادر
مدَّ اللهيب سواعداً من ناره واطال السنة له كبواتر
وجرى يخط من الضرام دوائراً ويموج متقداً حيال دوائر
ليست شظايا النار غير لواعج من اكبد مقروحة وضمائر

* * *

ما كان حبك غير مؤتلف اللظى تغري لواعجه القلوب بباتر
كم في الهوى والنار من متقارب ومشابه في باطن او ظاهر
وارى اللهيب الى الرماد مآله ولهيب حبك خالد بسرائري
طلعت غواربه بحمر مشاعل وتتابعت مشبوبة بمجامر
وانداح سيل للظى اثباجه ريب القضاء وصرف دهر غادر
كل يخاف ويتقي شرر اللظى ويدير حول النار عين محاذر
وتنام عين الناس عن شرر الهوى من غفلة عرضت وحظ عاثر
ما حيلة المفتون من قدر وهل دفع القضاء تبصر من ساهر

دمشق — **عدنان مردم بك**

مثل عليا في حياة أبي شادي

بقلم رضوان ابراهيم



ابو شادي رحمه الله مجموعة من القمم الشاهقة ، تنزلق عنها صفارات الحياة ، وتدعها لامعة متضوئة ذات اشعاع وهاج في حياة البشرية التي نعيشها اليوم .

وفي حياة ابي شادي اوليات تفرد بها ، قل ان تجتمع الا للعبقريات السامقة التي يضن بها الدهر الا لماما ، وعلى شح بخيل .

بكر ابو شادي لدراسة الطب ، فوثب فيه وثبات ومكينة الى قمة يشرف بها الطب الحديث ، ولئن صلح تقدير الدوائر العالمية والمحلية لجهوده ، فما بالجديد ان نقول ايه يوم غادر مصر ، خلف وراءه منصبا عريضا يتوق اليه الكثيرون فليس بالهين ان يكون وكيلا لكلية الطب بجامعة الاسكندرية وما زالت محاضراته في هذه الجامعة مخطوطة تنتظر لفتة زملائه الاطباء ليذيعونها في دوائرهم وبين طلابهم للنفع العام .

هذه منزلة تتسامى اليها عيون كثيرة ، ولكنها ليست الاولى ولا الاخيرة فلقد لفت ابو شادي العالم لفتة قوية حينما انشأ نادي النحلة الدولي في انجلترا ، وانشأ هناك مجلة علم النحل ، وفي وقت مبكر انتزع من الانجليز اعترافهم بهذه السبق فسجلوا له هذه الاولية ، وما زالت هذه المجلة العالمية تدين بهذا الفضل فتسجل على غلافها عبارة السكرتير السابق « احمد زكي ابو شادي » .

وما عاد الى مصر حتى فتح العيون الناعسة هنا على امكانية ضخمة من الامكانيات الطبيعية والمناخية لهذا البلد ، فانشأ رابطة النحالة التي تابعت خطاه وما زالت تعمل بهدي فكره الرائد الجبار .

وتبع ذلك استغلاله لبقية الامكانيات المصرية ، فتصنيع مصر خطا على يد ابو شادي خطواته الطبيعية الاولى في الصناعات الزراعية وتربية الدواجن .

ولم تكن وثباته السريعة في هذه الاسبقيات مجرد خطوات على الرمال ولكنها ركائز عملية ، ودعامات راسخة صلحت اساسا لامجاد مصر الحديثة الواعية .

وابو شادي رسام مبدع ، ذو مذهب فني اصيل ، وقد ظلت هذه الموهبة هواية يستمتع بها حتى هاجر الى امريكا ، فرحبت بها الاوساط الفنية واحتضنتها ، فكانت معارض صوره في نيويورك وغيرها مثار اعجاب الفنيين العالميين وتقديرهم .

لكن القمة الكبرى والوثبة العبقرية في مثاليات ابي شادي هي تلك التي شآها في الشعر فلقد كان معجزة منذ ربع قرن ان يفكر احد في الشعر العربي ، يشغل به نفسه ، ومن حوله الشباب تازمه الحياة المادية ، فراح ابو شادي يصنع المعجزة ، فالف جماعة « ابوللو » واخراج اول مجلة عربية خاصة بالشعر كانت هي الاولى والاخيرة في حياة الشعر العربي كله ، ولقد تسلم اللواء من مخضرمي هذا العصر : البارودي وشوقي وحافظ وصبري ، ليصنع مع زميله مطران — اول ثورة تجديدية حقيقية في الشعر الحديث .

وما كان مجاملة ان يحتشد له ارباب الشعر العالمي ، وهو يقدم للناس آخر دواوينه المطبوعة « من السماء » في مدينة نيويورك في حفل تكريمي رائع برعاية « اكاديمية الشعراء الامريكيين » و « جمعية الشعر الامريكية » ذلك الحفل الذي مثلت فيه الهيئات والحكومات والصحافة والاذاعات العالمية لم يكن مجرد تكريم ، ولكنه اعتراف عالمي بشاعرية ابي شادي العبقرية .

ومن تمام المعجزة الا يحتجز رسولها كل المجد لشخصه ، وقد صنع ابو شادي من ثورة الشعر حركة

شعبية تألف حولها جماهير الشعراء وناشئتهم ، ففتش عن المواهب ، وشجع ودفع بيدين قويتين حانيتين الى الميدان ، حتى اثمرت حركته الابداعية خير الثمار ... ذلك ما يعرفه كل اديب في الشرق والغرب ، وان جحده اناس ، وتجاهله آخرون .

وكان اسلوب ابي شادي البنائي بجمع هذه السنابل من السفح ، ويشدها الى قمته دائما ، فلم يتخج عن واحد ، ولم يهدم جماعة مهما اختلفت وجهات الراي ، وتشعبت المذاهب ، وقد ظل حتى آخر انسامه يحترم كل الاتجاهات ، ويؤمن بتعاونها جميعا .. كان كالجوهري الخبير ، يفحص عن الموهبة ويفتش عن الجوهر الاصيل ، ولا يعنيه من بعد في اي انموذج صيغت هذه المواهب .

ولقد صنع مذهبه هذا مدرسة نقدية مشجعة تقتفي سبيله الذي لم يكن كله مفروشا بالرياحين فلكم كابد من عنت الشباب وغروره وانانيته ، ولقد كان فرحه بغرور الشباب الذين يرفعهم الى قممه فرح الاب الحاني يدفع ابناءه الى المصنى حتى نهاية الطريق ولو على اكتافه .

ولمحة اخرى من مثاليات ابي شادي ، تلك الدعوة الصادقة الى تجديد الدين ، ومذهب ابي شادي في الاديان جديد ، قل ان تجده الا للقديسين السمحاء ورواد الانسانية الكبار الذين برئوا من التعصب واستهدفوا في الاديان ناحيتها الانسانية الرفيعة ، وقد شهق شهقته الاخيرة وهو يهتف بهذه العقيدة التي سجلها مبكرا كتاب « عظمة الاسلام » ومؤخرا في « الاسلام الحي » و « الاسلام في نقائه » و « ملامح الاسلام » وكانت له الجهود والريادة البارزة في تأسيس « البرلمان الدولي للديانات بنيويورك » ، و « الرابطة الدولية لحقوق الانسان » .

هذه مثل بارزة لا تخطئها العيون العابرة في حياة ابي شادي ، وبعضها حري ان يخلده بين ابطال الانسانية في تاريخها الطويل ، ولكن ابا شادي يعزف عن التباهي بها ، ويعض عنها جميعا كالطائر الظمآن يبحث عن شيء آخر حتى لتتهمة السطحيون بالحمق والغرور ، بيد انه عند نفسه واقعي . فماذا ينشد الرجل الملهم العامل الموفق الذي اجتاز كل هذه السموات وسجل فيها معالم الفخار لابناء البشر ؟

انه ينشد الحرية وهي اغلى واعلى قممه واسماها .. انه انسان ، والانسان الحق لا يذعن لغير سلطة السماء ، وفي مصر السالفة تعددت الآلهة ، وعبثت اول ما عبثت بحريات الناس ، وما كان للناس يومئذ ان يحتفظوا بحياتهم وحرياتهم معا ، فالطغيان لا يسمح الا بواحدة ، فهرب ابو شادي ..

نعم هرب .. وهل من جناح على من يهرب بكنزه الثمين من السنة اللهيب المدمر ؟

لقد هاجر ابو شادي يحمل حريته وانسانيته ومثاليته ان تنتهكها الوثنية السياسية ، والاقطاعية الوقحة ، وما كان لمثل ابي شادي في سموه وحساسيته ، ومثاليته النبيلة الا ان يفعل ما فعل ..

لقد فعلها موسى . فانتهى الى النار المقدسة التي اثارت طريق الحرية للمستعبدين .. وفعلها محمد .. هاربا الى الله من عسف الوثنية ، فاعتز بهجرته دين ، وتحطمت على خطواته في الرمال اغلال البشرية التي ارهقتها فوضوية الجهالات ..

وذهب ابو شادي يزاول الكفاح في منفاه الذي اختاره ، وهنالك وجد نفسه الكبيرة وعقله الموهوب ، وقلبه الحر ، فزاول رسالة الحرية والجهاد في سبيل الوطن والدين والعروبة ... تلك الرسالة التي تيقن انه خلق لها ... ولها وحدها .

لقد كان ابو شادي دائما يعيش حياته كلها . يكابد بأساءها ومسراتها ككل بطل تخير لنفسه النزال فلم ينكل ولم يتقهقر ولم يهن .

ولقد ظل حتى آخر انفاسه رائدا مجددا كاقوى ما يكون التجديد واروعه ، ولم يكن تجديده يوما ما متابعة لاحد ولا جماعة ولا لمذهب ولكنها الاصالة العبقرية المتفردة ، والقوة الدائمة الواثقة بنفسها على خوض الميادين كلها دفعة واحدة .

كان نبل ابي شادي وقوة اخلاقه ، وسعة ثقافاته وعمق معارفه الانسانية كفيلة ببطولة فذة تباهي الاجيال باعماله العبقرية الكبيرة ولكن مثاليته تبرز هنا رائعة متالقة خالدة ، وهي في هذه المرة مثالية التواضع السامي .

فلم يكن ابو شادي يوما رئيسا لهيئة او جماعة من الجماعات الكثيرة التي انشأها ولكن مكانه فيها كان دائما مكان الجندي المجهول والعامل المنتج .

فهو في انجلترا سكرتير جمعية النيل السياسية ، وسكرتير النادي المصري وسكرتير جمعية آداب اللغة العربية .

وهو في مصر سكرتير جماعة ابولو وسكرتير رابطة النحل ، وفي الاسكندرية سكرتير ندوة الثقافة ، وسكرتير رابطة الادب الجديد .

هذه نماذج سريعة من مثاليات ابي شادي الذي كان عملاقا في دنيا كثرت فيها الاقزام ولكنه العملاق الشهم الرحيم ، العف السريرة ، النقي النفس .

يرحم الله ابا شادي ، فلقد كان مجموعة من القمم المشرقة تلتمع وضاءة في آفاق الحياة ، لتدفع السالكين الى الدروب وتهديهم سواء الحرية والجمال ، والخير والسعادة .

القاهرة — رضوان ابراهيم

من الشعر الاسباني المعاصر

✳

لخيراردو دييجو Gerardo Diego

ترجمة

محمد العربي الخطابي

●

تطوان — مراكش

✳

من اكبر شعراء اسبانيا المعاصرين . ولد في سبتمبر سنة ١٨٩٦ . ودرس الاداب في جامعة مدريد . نشر اشعاره الاولى في بدء شبابه على صفحات مجلات الاقاليم . ويتمتع الان بشهرة واسعة في امريكا اللاتينية حيث طبعت بعض دواوينه . ومن مؤلفاته الشعرية « أشباح » و « كتاب الزبد » و « أبيات انسانية » وشعره يمتاز بغرابة الصور والتعابير ويعتني بالترانيم الموسيقية في كثير من قصائده . وهو من مؤسسي مدرسة « الابداعية Creacionismo » في الشعر الاسباني المعاصر . وينظم الى جانب ذلك قصائد على النمط القديم . وخيراردو دييجو عضو في الاكاديمية الاسبانية الملكية للغة .

شاعر بدون الفاظ

●

سوف اكسر القلم . لم تعد لي به حاجة .
فما تحس به نفسي لا اعرف كيف اتلفظ به .
اتعقب الكلمة فلا اجد سوى صيحة
متقطعة سمجة لا يحب سماعها احد .

الهي ، انت ايها الشاعر ! لم لا تمنحني
نعمة السداد فانطق بحاجات جميلة ؟
اجعلني قادرا — يا واسع الجود —
على تأويل لغة الازهار والنجوم .

فانا اسمع أسرارها ، وافهم منطقها .
ليس الصمم والبكم هما قيدي .
فالطبيعة عندي روح متفجع
والعالم قلب عليل ذو رنين .

انا احمل في اعماقي الفاظا شائقة ،
والايقاع يرقص في اسماعي على انغامه ،
بينما تسرح تائهة ، عمياء خرساء
في مجاهل نفسي ، الحان حالمة .

وكطفل يمد ذراعيه الصغيرتين العاريتين
الى الاشياء ويريد ان يتكلم فلا يدري فيبكي ...،
كذلك تنفرج امامها شفتاي الخرساوان
شفتا شاعر بدون كلمات ينشد باكيا الآية الكبرى .

انت ، يا رب ، يا من امرت البكم ان يتكلموا
فاطاعوك . ها نفسي مفعمة
بكلام جميل لا صورة له ، اجعلني أفصح عنه .
مر الشاعر الذي يعيش في « ان تكلم .. » .

من الاشعار الاولى

●

الشعراء يعرفون اشياء كثيرة ،
يعرفون احجارا نادرة ، وغرائب الازهار .
وليس في جنينتي سوى الورود ،
ورود بيضاء وذات الوان .

انا لا اجرؤ على صنع الشعر .
فمهري تافه زهيد .
ومالي يصرف في يوم واحد.
مثل نقد من نحاس .

ذكريات تليدة معطرة
عن شهور مايو الخوالي المزهرة .
وحفنة من حروف
لنظم ابيات حزينة .

عروس وهمية ابدعتها الاحلام .
ولوعة الهجران .
ولحن مدفون
في اعماق قلبي .

ان مزية الفقير هي هذه :
لا يقدر احد ان يسرق منه شيئا .
وشعري بليد متواضع
ايه ، لن تستطيعوا ان تنتزعوه مني .

من الشعر الانساني

●

وددت ان اكون محدودبا
لبدك المقعرة .
وكجذع اجوف
لاجملك في حجري
وامنحك ظلا ونوما .

وان اكون ناعما افقيا لا متناهيا
لاثر الخطو المتتابع الحثيث
لقدمك اليسرى
وقدمك اليمنى .

وان اكون على جميع الاشكال
كالماء يستطاب دائما في اي كاس
فاحتضنك ابدا من الداخل .

وايضا كالكاس
لاضمك الي من الخارج في نفس الوقت .
وان اكون كالماء اتخذ صورة الكاس
وان احتويك دوما ، ظاهرا وباطنا .

احلام

●

امس رايتك في المنام .
لست اذكر ما كان .
الا انك كنت لا تزالين لي ،
كنت عروسي . ما اجملها

من كذبة ! ان اجنحة الحلم
البيضاء تذهب بنا ، وتجيء
في عالم من المحال ،
في سماء من الاوهام .

ربما رايتك امس
تخرجين على مهل من الكنيسة ،
والسبحة في يدك ،
وانت مطرقة خفرة .

أو ربما جنب الساقية ،
هنالك في سكون القرية ،
كنا نتدبر احلامنا
القدسية ، احلام الربيع .

وربما كنت لا تزالين طفلة
– ايه ايها العهد البعيد الحلو ! –
وكنت تغنين وسط الحلقة
وضفائرك مرسلة في الهواء .

وكانما كنت انا صبيا
من الذين يذهبون الى المدرسة ،
من الذين يخاطبون البنات .
من الذين يلعبون معهن .

يا له من حلم متراخ
عديم الشكل تسوده الغيوم ...
من ذا الذي يستطيع ان يحلم دائما !
وان ينام دائما ، من يستطيع !

من يستطيع أن يكون عريسك
(يا روح اتشحي بثياب العيد)
في حلم ازلي حلو ،
ابيض كالنجوم !...

عـودة القافلة

✳

ترسـل أيها الحادي اذا ما أطرق السمـار
وناغم في سكـون الليـل قافلة على الاغـوار
تجر وراءهـا الاعيـاء .. واللهفة ... والاصرار
الى الترب الذي ضم احبـاء .. لنا أبرار
الى المهـد الذي هـامت عليه لهفـة الاحـرار
وهـوم في نـواحيـه صبـا في افقه خطـار
صباكم بعثـر الاحلام .. والآمـال .. والاسرار
على العشب .. على النخل .. على التل .. على الصبار
ترسل ايهـا الحـادي ونـاغم شوقي الهـدار
لقـد لمعت على الافق قباب الدور .. والانوار
وأغفى صمتهـا المحبوب فوق الليل .. والاشجار
وهبت من روائحها عطور الامن والايثـار
وأنفـاس مسعـرة لام تـرقب الاخبـار
عن النائين خلف الافق .. خلف القلب والانظار
عن السارين في الصحـراء .. سربا غاله الاعصار
عـن السـاقين غربتهم دمـاء الصـابر المنهـار
تمهل أيهـا الحـادي فقـد لاحت لنـا الاسوار
لقد لاحت لنا الدنيا وجنة حلمنـا الدوار
هنـا الامن .. هنا الحب يموج بفيئها المعطـار
وينـزو في دمي فرحـا كطفـل يجمع الازهـار

القاهرة

كمال نشأت
من رابطة النهر الخـالد

نشأة نظام الاسرة بين الفردية والجماعة

بقلم اميل توفيق

مدرس اول العلوم

قسم الدراسات العليا في الانتروبولوجي بجامعة لندن



من دراسة القبائل البشرية المنعزلة عن الحضارة الحديثة ، يجد علماء الاجتماع والانتروبولوجيا الاجتماعية مادة غزيرة لبحث النظم الانسانية الاولى في غهودها الباكرة . ومن هذه النظم الاسرة .

غير ان العلماء مختلفون فيما انتهوا اليه بهذا الصدد . فهنالك علماء يقرون الفكرة القائلة ان الاسرة كانت وما تزال هي نواة الحياة الاجتماعية ، ووحدتها ولبنتها الوظيفية ، وستظل كذلك ما بقيت الحياة الاجتماعية قوية الدعائم ، ثابتة الاركان . وهي فكرة المدرسة الانجليزية في علم الاجتماع ويتزعمها العالم وستر مارك Westermarck

وعلماء آخرون يذهبون الى ان الاسرة لم تكن هي نواة الحياة الاجتماعية ، في فجر الحياة الانسانية ، بل كانت وحدة اوسع منها هي العشيرة ، بما تضمنته من معتقدات وتقاليد وعرف ونظم سياسية واقتصادية وتربوية . وهذه هي التي شكلت نظام الاسرة فجاء تابعا للعشيرة ، وداخلا في نظامها . وهؤلاء يمثلون المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع ويتزعمها اميل دوركايم Durkheim وليفي بريل .

وهناك مدرسة ثالثة هي المدرسة التطورية ، ويتزعمها العالم الامريكي لويس مورجان Morgan . ومدرسة اخيرة ناقدة تعمل على دراسة بحوث وسترمارك ومورجان، وتعمل على تصحيح ما تراه فيها خاطئا ، ويتزعمها روبرت بريفولت Briffault ، وكالفرتون Calverton . واليك الآراء التي تتضمنها هذه المدارس الاجتماعية في شيء من التفصيل .

اما وسترمارك فيذهب في كتابه The History of Human Marriage الى ان الاسرة هي الوحدة الاجتماعية الكائنة منذ ان عرفت الحياة الانسانية وان صورة الزواج الفردي Monogamy هي الصورة التي عرفت بين انواع كثيرة جدا حيوانية . ويحصى وسترمارك العديد من هذه الانواع التي تتزاوج بهذه الصورة. ويخلص من ذلك بان هذه الصورة هي صورة الزواج الطبيعي — وان الصور الاخرى التي نقابلها بين بعض القبائل البشرية من زواج جمعي ، او زواج عدة رجال بواحدة ، او زواج عدة نساء بواحد . . هذه الصور لا تمثل الطبيعة البشرية السوية، بل هي تمثل الانحرافات في مجتمعاتها .

ويحدثنا آدريان كوتس Coates في كتابه Prelude to History عن بعض النتائج التي انتهى اليها مستندا الى آراء وسترمارك ، ومن شابهه ، وهي كالآتي :

١) ان الوحدة الاجتماعية وهي الاسرة كانت تتالف من رجل وامراة او اكثر ونسلهم ، وان هذه الوحدة هي امتداد لما كانت عليه الاسرة الحيوانية — ولم تكن هناك مرحلة للشيوعية الجنسية Promiscuity

٢) وفي هذه الاسرة الاولى ظهرت ثلاث مراحل للحياة الفردية : مرحلة الطفولة في المجتمع العائلي — ومرحلة المراهقة وهي مرحلة المغامرة الجنسية والخروج للعمل — ثم مرحلة حياة النضوج والتزاوج .

٣) ان نمو العادات والتقاليد الانسانية كان مصاحبا لنمو العواطف والنظم الاجتماعية . وقد كان اكتشاف النار كوسيلة من الوسائل التي يجتمع حولها الجماعة لالتماس الدفء ممهدا لتكوين المجتمع العائلي . اما نمو اساليب الصيد وما تبعه من التمييز الاقتصادي بين وظائف الرجل والمراة ، فقد عمل على فصل الجنسين كلا عن الاخر ، وهذا ادى بالتالي الى قيام حالة الغرابة والغموض في نفسية كل جنس قبل الاخر ، ومن هنا نشأت المحرمات واللامساسات Taboos

وجاءت بعد ذلك مرحلة انتقال الحضارة ومعرفة الحرف والصناعات من جيل الى جيل ، فادى ذلك الى التفرقة بين طبقة الكبار وما لهم من مسئوليات وسلطة ، وطبقة الصغار وما عليهم من طاعة وانصياع .

٤) وبنمو الشعور الديني المقاوم للجنس من جهة ،

ونمو العاطفة العائلية من جهة اخرى نشأ الصراع في نفسية المراهق بين ذكريات الطفولة الباكرة ، وبين الاختبارات الاجتماعية والجنسية في مرحلة البلوغ — وهذه الحالة صاحبت بل شجعت عملية التفرقة بين بعض اعضاء الاسرة الواحدة ، ومن هنا جاءت الافكار عن المحارم ، وعن التحريم بين الاقارب .

٥) وبازدياد رقعة الارض ، وانتشار الاسر ونموها ، انتشر معنى القرابة Kinshipr فتكونت نظم القرابة على اساس اجتماعي وديني بدلا من الاساس البيولوجي وحده ، مثل النظم الطوطمية Totemic كما في قبائل استراليا الاصليين ، وبعض القبائل الهندية ، وبعض قبائل ميلاتيزيا ، والسكان الاصليين في امريكا .

وتتحد العشيرة الطوطمية على اساس ان افرادها ينتسبون الى سلف واحد ، قد يكون حيوانا (كالدب او الكنغارو) او يكون نباتا ، او قد يكون شيئا آخر طبيعيا . وهو يسمى طوطم العشيرة Totem

أما رالف لينتون Ralph Linton استاذ الانتروبولوجيا في جامعة كولومبيا فله آراء تتمشى مع آراء وسترمارك ، نلخصها فيما يلي :

١) الوحدة الاجتماعية الاولى هي العائلة الزواجية Conjugal family اي الزوج وزوجه (او زوجاته ونسلهم) . وهذه العائلة بنموها تضم الاب وابناءه وزوجاتهم واحفاده وتقوم الاسرة بالوظائف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتعليمية ، والاب فيها له سلطة ممتازة تكاد تكون مطلقة ، وتسمى بالاسرة المترابطة Joint family اذ تمتاز باقامة مشتركة ، وبنطاق محلي محدود .

٢) اذا اتسع نطاق الاسرة المترابطة تكونت ما يسمى بالاسرة الدموية Consanguine وهي اسرة تتخذ محورا واحدا للنسب او للقرابة اما النسب الاموي matrilineal او النسب الابوي Patrilineal وفي الغالب يكون النسب امويا متى كانت الاقامة مع اقارب الام ، ويكون ابويا متى كانت الاقامة مع اقارب الاب . ويلاحظ ان الاسرة الدموية محدودة رغم كبرها فهي لا تتجاوز ثلاثة او اربعة أجيال .

٣) اذا اتسع نطاق الاسرة الدموية بحيث امتد خط النسب او محوره لاكثر من ثلاثة او اربعة اجيال تكونت العشيرة Clan . فحيثما تنتظم جماعة في محور نسب واحد ، وبدون ان تفقد هذه القرابة فالجماعة هي العشيرة . ولها نوعان من المظاهر ، بيولوجية واجتماعية ولكن الدلالات الاجتماعية تفوق بكثير الرابطة الدموية .

٤) من جملة العشائر تتكون القبيلة ، ومن غزو القبيلة لجماعة من الناس تكونت الفكرة الاولى للدولة وعندئذ تحللت الاسرة الدموية او الاسرة في داخل العشائر من كثير من وظائفها ، واخذت الاسرة الزواجية اي الفردية تسود المجتمعات الانسانية ، لتأخذ وضعها الطبيعي .

ولنتأمل المدارس المضادة . فلدوركايم نظريته المشهورة عن التصورات الاجتماعية . فهو يقول ان كل ظاهرة اجتماعية سببها اجتماعي وليس فرديا . فالجماعة اسبق من الفرد والحياة في الجماعة تخلق تصورات اجتماعية منفصلة تماما عن تصورات الضمائر الفردية . وهذه التصورات الاجتماعية تضغط على الافراد ، وهي ليست نموا للتصورات الفردية . وليست هناك عاطفة اسرية فطرية في الانسان لتكون اساسا لنشأة الاسرة بل ان نظام الاسرة داخل الجماعة هو الذي ادى الى ظهور العواطف .

والتصورات الاجتماعية اساس لنشأة الدين ، والفرد يعبد مجتمعه فالدين نشأ من المجتمع .

وهو يقول ان العقلية البدائية عقلية اجتماعية اذ ان المقولات الاساسية للتفكير نشأت من الدين ، وهذه المقولات العقلية كالزمن والمكان والعدد والسببية هي بمثابة حدود العقل او مسالك للتفكير وهي تمثل المعاني الكلية وهي معاني اجتماعية وان العلم نشأ عن الدين بسبب ارتباطهما بمقولة السببية وهي اساس العلم ، وقد انتقد دوركايم كثير من العلماء ومنهم شارل بلوندل مؤلف كتاب مقدمة في علم النفس الاجتماعي الذي ترجمه الدكتوران محمود قاسم وابراهيم سلامة .

وحسبنا ان نتابع نظرية دوركايم فهو يرى ان العشيرة هي الوحدة الاولى للحياة الاجتماعية والديانة البدائية هي الطوطمية ويرى ان نظامها شبيه بالنظام الكوني ، وفي داخل الجماعة تشكلت الاسرة ، وتبعها ظهور العواطف العائلية .

ومع اختلاف المنهج ، ينتهي ليفي بريل الى مثل هذه النتيجة فهو يرى ان الفرد في تصوراته العقلية او الشعورية يحس انه عضو في جماعة فالجماعية Collectivism هي التي تشكل لغته ونظمه العائلية والاقتصادية .

وثمة عالم آخر امريكي هو لويس مورجان صاحب النظرية التطورية . وبمقتضاها ان الجماعة الانسانية الاولى لم تعرف الزواج ، بل سادتها حالة من الشيوعية الجنسية — ثم تطورت بان أخذت تنظم ما انتابها من فوضى ، وتحولت الى صورة الزواج الجمعي (عدد من الرجال يشتركون في الزواج مع عدد من النساء) — ثم ارتقت الى صورتي الزواج المتعدد ، ثم ارتقت الانسانية اخيرا الى صورة الزواج الفردي . وقد وافق مورجان كثير من العلماء مثل فريزر وجيلن وسبنسر وهويت .

على أن المدرسة الالمانية تنكر الشيوعية الجنسية وتعد الزواج الجمعي هو النواة الاولى .

والدكتور علي عبد الواحد وافي استاذ الاجتماع بجامعة القاهرة يعرض موضوع الاسرة في كتابه (الاسرة والمجتمع) وفي رايه ان نطاق الاسرة كان واسعا كل السعة (العشيرة) ثم اخذ يمر بمراحل عديدة من الاوسع الى

الواسع ، ثم الى الضيق فالاضيق (الزواج الفردي) . وان نظام الاسرة ليس من صنع الافراد ولكنه ينبعث من تلقاء نفسه عن (العقل الجمعي) واتجاهاته كما يرتبط بما تخلقه الجماعة من نظم في شئون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء وما الى ذلك . وان وظائف الاسرة كذلك تطورت في جملتها من الاوسع فالواسع ثم الى الضيق فالاضيق . كما ان محور القرابة لا تحدوه كذلك صلات الدم وانما يتحكم فيه العقل الجمعي .

اما بريفولت فيرى من ابحاثه في نظم الزواج في ميلانيزيا وهنود امريكا وغيرهم ان الزواج الجمعي هو الصورة البدائية الاولى ــ وان الزواج الفردي نتيجة تتعلق باسباب اقتصادية .

هذا ويجدر بي ان اختم هذا المقال بذكر نقطتين هامتين تصلحان ضمن نقط البداية في الابحاث التي تتجه الاتجاهات الفردية ، وتدعم الزواج الفردي ، وهما :

١) انتقد شارل بلوندل العلامة دوركايم في ان الثاني قد اغفل عامدا محاولاته ان يبحث النواحي الفردية والحياة العملية للقبائل البشرية . اذ من المؤكد ان الفرد كانت له حياة خاصة وكان يجابه الطبيعة وجها لوجه وكانت تمر بخبرته تجارب متعددة ، وكان الناس يخرجون للصيد او للرعي . وكان من ثمرة حياتهم العملية تلك الصناعات الحجرية وادوات الصيد والقطع والحفر ، وما اليها .

كما كانت حياتهم الفردية الفائضة مؤدية بهم الى تلك الروائع من الفنون التي وجدت محفورة او بارزة في كهوف فرنسا واسبانيا في العصر الحجري القديم .

كما كان الذكاء الفردي وتتبعه التصورات الفردية ، والاساليب العملية الواقعية هذه كلها كانت من وراء حاسة الكشف او الاختراع في اساليب الصيد او الزراعة او الفن وغيرها .

وقد اعترف ليفي بريل بانه اغفل مؤقتا هذا الجانب الواقعي . فالجانب الفردي ، والنظرة الفردية ، والمشاعر الفردية ، والحياة العملية بخبراتها الخاصة المتميزة عن خبرات الجماعة . . هذه كلها تكمل حياة العشائر ، في جوانبها الجماعية .

٢) يدلي العلامة البيولوجي هافلوك اليس في كتابه (الجنس في علاقته بالمجتمع) آراء يؤكد فيها صورة الزواج الفردي ــ وهي آراء جديرة بالمناقشة ونلخصها فيما يلي :

ان القاعدة القائلة بتساوي عدد الذكور مع عدد الاناث قاعدة صحيحة في الانسان والمجتمعات الحيوانية وخاصة في فجر حياتها . ومن ثم فان الاختيار الزوجي يتم وفق القانون الطبيعي للاختيار كما ان العلاقات الجنسية تتبع مثل هذا القانون حيث يتركز الاختيار حول الزواج الفردي كشيء عادي ومألوف ، ويكون الاختلاف الى اليمين او الى اليسار بمثابة الشواذ . . وتلك سنة اية صفة انسانية .

ان الزواج الفردي هو الصورة التي تبلورت عنها نوازع الانسانية ودوافعها ، وهو حقيقة بيولوجية لانه تعبير الجنسين معا ، ولانه يمثل صورة الرباط الانساني الذي تقره حاجات العاطفة المتبادلة ــ فضلا عن حاجات النسل من تعاطف ورعاية ، وعن التجاذب المتبادل الذي يجعل هذا الرباط مستمرا .

اما الاختلافات التي تحدث مغايرة فهي ايضا طبيعية . ان هناك تيارين حضاريين يتنازعان الانسانية ، احدهما يتجه نحو تضخيم الجماعة وتماسكها والاخر نحو انماء الحرية الفردية ــ ولكنهما في صورة الزواج الفردي يعملان معا بل يكمل احدهما الاخر ، فهو يؤكد الحرية من ناحية ، كما يؤكد الجانب الاجتماعي وتماسكه من الناحية الاخرى.

ان الزواج الفردي هو لبنة الحياة الاجتماعية وعمودها الفقري .

القاهرة **اميل توفيق**

الطفل العطوف

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

✳

انـنا نشاهد في اغلب الاحيان بعض الاطفال اكثر عاطفة من الاخرين الذين يظهرون بمظهر الشراسة وعدم الميل الى الناس . بل ان بعضهم يكره اقاربه ويظهر في سلوكه نوع من العداء المستمر نحو اهله . وبما ان مواقف العطف والحب والائتناس موجودة لدى بعض الاطفال فلم لا نعمل على تعميمها بين كل الاطفال ؟

لهذا يجب ان نعلم ان الطفل حساس منذ الشهور الاولى ، ويستطيع ادراك العطف وتمييزه عن الكراهية والضيق . ويمكننا ذكر امثلة عديدة تثبت ان اغلب الاطفال يميلون للبكاء عندما نعاملهم بشدة ، حتى لو لم يكن الامر يتعدى التعبير الوجهي . فان الطفل يدرك ذلك ويستجيب حسب حالتنا النفسية : يبتسم عندما يعبر وجهنا عن الراحة والمرح ويبكي عندما يعبر عن الضيق والغضب . ونشاهد الاطفال يتأثرون بسهولة لتغير مزاجنا ولهـذا لا يجوز قطعيا لام ان تبكي امام طفلها فان ذلك يثير في نفسه حزنا وتكرار البكاء عند الام واستمرار ادراك الطفل لهذا البكاء يحدث في داخل نفسه ميلا الى الحزن يتجلى فيما بعد ويتخذ مظاهر مختلفة تؤدي الى الانطواء على النفس .

ونذكر بهذه المناسبة ان المرض النفسي يكون ناشئا دائما عن سيطرة حالة نفسية معينة على الحالات الاخرى مهما كان نوعها . وسيطرة الحزن او غيره تاتي غالبا من الطفولة الاولى ، ويكون ذلك سببا في اضطرابات عدة اهمها الخوف من الناس وعدم الميل اليهم ورغبة الفرار منهم .

ونشاهد من جهة اخرى ان الطفل السليم يبدا بعد السنة الاولى في التعبير عن عواطفه بالاستسلام في ايدي الاشخاص الذين يعيشون في محيطـه ، بل نرى بعض الاطفال يقومون بفعل التقبيل المصحوب بالابتسامة اللطيفة ويتخذون اوضاعا مريحة بين ذراعي من يحملهم تعبر عن حنان وهدوء واطمئنان . وهذه لذة نفسية تربط بين الطفل والمجتمع ، وكثيرا ما تكون هذه المواقف سببا في اقبال الاقارب على زيادة في العناية ويؤدي ذلك الى مساعدة الطفل على نموه الطبيعي بالحديث واللعب .

وخلاف ذلك ما نجده عند الاطفال الذين عاشوا في جو يسوده الاضطراب و « النرفزة » والضوضاء والصراخ، فانهم يعبرون دائما عن الحذر والخوف والابتعاد عن الناس ويكون ذلك سببا في تاخر نموهم النفسي ، ويميلون الى الوحدة التي تحرمهم من اكتساب مرونة الكلام ، ويترتب على ذلك الكثير من الفشل في حياة بعض الافراد .

ونؤيد هذا الراي ببعض الامثلة التي اثبتها التحليل النفسي : شعر شخص بتعلق زائد نحو امه ونحو سيدة اتبعت نحوه الدلال واستعملت كل وسائل المكر لتحتفظ بعطفه دون ان تريحه ، وتعده مؤكدة حبها لتخونه بعد ذلك خيانة صريحة . وجاء الشاب يعبر عن تعبه النفسي وثورته ضد الحياة والناس ، واشتد غضبه وضجره ورغب في الانتحار . وبعد دراسة حالته دراسة دقيقة تبين انه كان في طفولته معرضا لتقلبات نفسية ناشئة عن ثورات الام ضد والده الذي كان متزوجا بامراتين ولم تكن حياة الام الا سلسلة من الصراع مع الزوجة الاخرى ، وكانت تقضي وقتها في اغلب الاحيان باكية حزينة قلقة على مصيرها . واثر ذلك في نفس الطفل الذي اصبح بعد ذلك منحرفا انحرافا واضحا في سلوكه وفي عواطفه على وجـه الخصوص .

ومن الغريب اننا في بعض الاحيان نجد ان الحالات النفسية المضطربة عند الطفل تحدث نوعا من العطف الزائد عن الحد . وقد شوهد عند الاطفال المصابين بالصرع او ببعض الامراض الاخرى ميلا الى الناس ، وهذه العلاقة في صورة عطف هي رد فعل للخوف المستولي على نفس الطفل .

ووجدنا عند فتاة جميلة مثقفة عجزا واضحا في القدرة على الحب ، وكانت دائما تشعر انها محرومة مما تشعر به الفتيات الاخريات في هذا الميدان الطبيعي الذي يربط بين فرد من جنس بآخر من الجنس الآخر . وكان هذا الحرمان عائقا لها عن الزواج ، ووصلت الى الثلاثين من عمرها وهي تبحث عن الشخص الذي يليق لها وترضى عنه كزوج تطمئن لحبها له طول الحياة . والسبب في هـذا الاضطراب العاطفي راجـع الى الام التي كانت حزينة باستمرار وكانت تهمل بنتها ولا تعنى بها العناية الكافية تحت تأثير حالتها النفسيـة . فلم تشعر الطفلة بحرارة الامومة وحنانها ، ولذلك لم تشعر طول حياتها باي ميل للحب نحو الآخرين . فموقف الام احدث فسادا عاطفيا .

ونذكر ايضا حالة سيدة تعرضت لحرمان عاطفي في الطفولة ، اذ ارغمتها الظروف على ان تعيش يتيمـة الام والاب ، وعرضها ذلك الحرمان الى آلام متنوعة في الحياة الزوجية وعرفت الزواج والطلاق عدة مرات وكانها كانت تشعر بنفسها مدفوعة دفعا ، لا تميل الى الاستقرار في حالة واحدة .

والخلاصة ان العناية بالمواقف العاطفية لدى الطفل من الموضوعات الهامة في تكوين النفس وتوجيه السلوك في الحياة كلها : فهناك اطفال يبداون منذ الطفولة الانطواء

قصة قصيرة

زواج اديب

بقلم معاوية الدرهلي

اطفات سامية الانوار في مخدعها وحاولت النوم . ولكن النوم لم يستجب لها فاشعلت سيجارة واخذت تفكر . انها لم تعتد التفكير ولا تحبه . انها انما تريد ان تجد الراحة الذهنية في الذكرى لا في التفكير . انهـا تشعر بالارتياح والطمانينة . راحة الضمير وراحة الفكر — هذه هي غاية السعادة في نظر سامية . هذه جنة احلامها ، هي الوردة التي لا يصحبها الشوك ، والنور الذي لا تصحبه الفراشات ، والهدوء الذي لا تعقبه عاصفة ... ان شعورا مثل هذا لا بد وان يكون ناشئا عن الحب — الحب الهادىء العميق ، كعمق مياه المحيط ، حب لا تضطرم فيه الشهوة الجسدية ، ولا تتألب عليه نوازع الشر من حسد وغيرة وايثار وانانية .

وابتسمت سامية لنفسها اذ خطرت ببالها هـذه الافكار . فما ابعد الفرق بين ما تشعر به الان وبين ما خبرته في الماضي من قلق واضطراب ، ومن عاصفة بل عواصف تعبث بعواطفها ومشاعرها فتؤلم نفسها وتضني جسدها وتجعل نهارها مظلما وليلها حلكة تفقد النجوم نورها وتغطي وجه القمر بحجاب كثيف سميك فلا يرى من ورائه .

اصحيح ان هدوءها هذا صادر عن حبها لزوجها ؟ أم انه صادر عن روح التضحية وحب التفاني في خدمة من تحب . ان كان الحب يثير هذا الشعور ، فلمن تكون شاكرة؟ اللحب نفسه ام لهذا الشعور الذي يثيره مثل هذا الحب ام لزوجها الذي يولد فيها هذا الحب ؟

واحست سامية بعاطفة غريبة تطغي عليها ، ومـا لبثت ان شعرت بدمعة ساخنة تسيل على خدها ، دمعة واحدة هي دمعة السعادة . وتذكرت ما قاله لها زوجها عندما طلب منها ان تتزوجه . قال لها « انت جميلة يـا سامية ولكني لا استطيع التعبير عن حبي الا بالمناقضات . فيك جمالا آخر . ترى هل تفهمينني لو قلت لك انـك جميلة مثل جمال دمعة الفرح ؟ ما اغرب المتناقضات يـا سامية ولكني لا استطيع التعبير عن حبي الا بالمتناقضات . فانت كالحقيقة يعلمها المرؤ ولا يستطيع الافصاح عنها ، فيلجأ الى الكلام الذي يدق عن المفاهم لانه غير مفهوم . الحقيقة تشع كالنور يا سامية ، ولكن ما اصعب ان نفهـم سر النور . »

وبالطبع لم تفهم سامية ما قصد حمدي من قوله . لم يفهم عقلها ما اراد ، ولكن قلبها فهم واستجاب وقالت « تريدني ان اكون زوجة لك يا حمدي ؟ »

قال : « لا اعلم معنى الزواج يا سامية . يقال هو رباط مقدس ، ويقال هو ارتباط بين اسرتين ، ويقال هو الوسيلة الشريفة للابقاء على الجنس البشري ، ويقال هو اسـاس المجتمع وركن الحضارة . ولكني لا افهم معنى هذه الاقوال يا سامية . لم اسمع احدا يقول انـه امتزاج الارواح ، وتجاوب العقول وتبادل الانفاس . اريدك ان تكوني معي يا سامية كي استعيض بتنفسي عبيرك عن تنفس ازهـار الرياض ، كي استضيء بالنور الذي يشع من عينيك بدلا من الاستنارة باشعة الشمس التي لا تصل الى الاعماق — هنا في اعماق القلب . اريدك يا سامية لاني اشعر بالنـار

على النفس لانهم لا يجدون حولهم الجو المناسب لسنهـم التي تتطلب لعبا ومرحا . وهناك اطفال يتأثرون من هـذا الحرمان ويتأثرون بحزن الام وتنطوي نفسهم على الخوف ويتعرضون لتعلق عاطفي واحد في اتجاه معين مهما كانت الصعوبات والمشكلات التي تعترضهم في حبهم الثابت . واما الاطفال الذين يصابون بالام منذ الطفولة فانهم يسرفون في الميل والحب ويكون ذلك تعويضـا الخوف المكبوت . ونجد ايضا صلة بين الحالة العاطفية لدى الطفل المحروم منها وبين عدم الاستقرار في الحياة الزوجية وعدم القدرة على الحب . وكثيرون من الناس يشكون من هذه الحالة النفسية الي تؤدي في الغالب الى اضطراب في الحيـاة الزوجية والاجتماعية خصوصا فيما يتعلق بداء الغيرة الذي ينشأ من اهمال احد الاطفال للاعتناء بالاخر .

القاهرة **ابو مدين الشافعي**

في قلبي تكاد تخبو ولم اجد لها ما يلائمهـا من وقود الا حينما وجدتك. سمّيه زواجا او رفقة او مشاركة او مجرد اتحاد روحي . سمّيه ما شئت . انني اريدك يا سامية ، فهل تريدينني انت مثل ما اريدك ؟ »

ولم تجبه سامية عن سؤاله مباشرة بل قالت له : « أتعيس انت الى هذه الدرجة يا حمدي ؟ »

فنظر اليها حمدي مليا ثم قال : « اتدركين الان مـا اعني ؟ انك تفهمينني خير الفهم يا سامية . »

***

ونفضت سامية الرماد من سيجارتها ونظرت الـى حمرة الطرف المحترق وقالت في نفسها :

« نعم اني افهمك حق الفهم يا حمدي . انك كالجمرة، تشتعل روحك بالحياة . فان انطفأت جذوة هذه النـار انطفأت حياتك . انك لا تعرف الا الحياة المضطربة ولاترضى الا بهذه الحياة . تريد ان تحترق نفسك لان النار قوة ، فاذا تأججت في القلب نبض بالحياة ، وان سكنت اصبحت كالرماد ، وما الرماد الا دليل الموت . »

وابتسمت سامية لنفسها اذ فكرت في هذه الجملة . انها في الحقيقة انما تردد ما قاله لها حمدي . لقد اصبحت جزءا منه ومن فكره وشعوره . سألته يوما من الايـام (لا . لم يكن يوما من الايام ، بل يوما معينا ، يوم تعارفها بـه) .

« ما الذي جعلك اديبا يا استاذ حمدي ؟ اهي حرفة تحترفها ، أم هو طريق قدر لك ان تلجه فولجته عن غير ارادة منك ؟ »

قال : « ليتني اعرف الجواب . هو شعور يدعوني فاجيب ، ويمسكني قلمي فاكتب ، وينير عقلي فيستضيء. فارى امامي نفوسا عارية ، اراها تهتز وتضطرب ، وتطرب وتتألم . واجدني اتألم لالمها وافرح لفرحها . واجدني اسرع الى الحديث معها ومخاطبتها فلا تسمع كلامي . اريد ان أقول لها اني احس باحساساتك ، ولكنها لا تفهم علي قولي ، ولا تسمع لصيحات قلبي . فأثور واتألم واتقد كالبركان الهائج ، واسارع الى قلمي اجد فيـه منفذا لشعوري فاكتب . هذا ما يجعلني اديبا في نظر الناس . . . اني لا ارى حياة الا اذا رأيت نارا متقدة . ولا ارى الجمال الا نورا يشع ، والمجتمع كعلاقة النار بالحطب . فاذا خمدت النار ظننت الناس امواتا . والغريب اني أجد النار خامدة في السعداء من الناس ، الراضين والقانعين منهم . فأجـد السعادة رمادا . وما الرماد الا خمود النار . وما النار الا الحياة وما الرماد الا دليل الموت . »

وذكرت انه اجابته يوم ذاك « اذا كانت السعادة خمود النار في النفس فانت تكره السعادة اذن . ولا ترضى الا بالالم . حياة الروح عندك اهم من ، من . . .

فاكمل جملتها قائلا : « اهم من موت الحياة . »

قالت : « اهذه نظرة الرجال في الحياة ؟ »

قال : « هي شعوري في الحياة لا نظرتي فيها . وهو شعوري الشخصي انا . لا ادري ما شعورغيري من الرجال. ولكنك قلت اني اديب . فلعله شعور الادباء فقط . »

قالت : « والنساء الاديبات ، أيشعرن مثل شعورك ؟»

قال : « اني لا افهم النساء . أجدهن يبحثن عـن السعادة فقط فاذا وجدن ضالتهـن اكتملت حياتهن ، ورضين بها ورضيتبهن . انهن لا يحببن البحرالا اذا هدات امواجه وسكنت مياهه ، وانا لا ارى البحر جميلا الا اذا اضطرب وهاج . اني لا افهم النساء . »

***

واطفأت سامية سيجارتها وهي تبتسم : « بل انك تفهمهن يا حمدي . وما اصدق فهمك لهن . فهانذا مثلا ، كانت حياتي قلقة مضطربة الى ان عرفتك فاحببتك . كنت تعيسة مؤلمة فكرهت الحياة . ولكني احببتك فاصبحت سعيدة واحببت الحياة . اني سعيدة بهذا الحب ولا اريد من الدنيا سواه » .

واخذت من على الطاولة آخر كتاب نشره زوجها قبل الزواج . نعم آخر كتاب نشره . واشعلت النور ونظرت اليه : « ما اغرب العنوان . نسائيات ـ مجموعة قصص

قصيرة ــ بقلم رجل » . رجل لا يفهم النساء يكتب عــن النساء ! ولكنه في الواقع قصص عن الرجال لا النساء ــ عن الرجال وعلاقتهم بالنساء . » وفتحت الكتاب عــلى القصة الاولى « خطبة وطلاق » ما احبك بالمتناقضات يــا حمدي . لا طلاق دون زواج ، ولكنك تجعل الطلاق بعــد الخطبة . »

ولم تقرأ القصة فهي تذكرها بتفاصيلها . انها قصة رجل كد واشتغل كاتبا في متجر كبير فعاف حياته الى ان اغتنى فجأة من ارث تحصل له ، فاراد ان يسمو الى المرتبة اللائقة بدخله ، وخطب من اسرة عريقة في الغنى بارزة في المجتمع وظن ان الحياة ملك يديه اذ قبلتــــه هذه الاسرة خطيبا . ولكنه سرعان ما اكتشف الهوة العميقة بين منشاه وفكره وبين منشأ خطيبته وطريقة تفكيرها . فقاسى الامرين وهو يحاول تكييف نفسه ليلائم الوسط الجديد ، وفي تعلم اشياء لم يكن يعتبرها من الاهمية بمكان . مسكين ذلــك الرجل . كم عانى في فترة عذابه الجديد . ولكنه قــرر الفرار من جنونه والعودة الى الصواب « فطلق » خطيبتــه وعاد الى حبه الاول ، الذي لا يصطحبه التكلف الاجتماعي ، فتاة بسيطة من قريته ، تزوج منها وظفر بالسعادة التــي كادت تفلت من يديه الى الابد .

« نعم انك غريب يا حمدي . انك تجد السعادة للناس في كتاباتك ، ولكنك لا تجدها لنفسك . ولعلك تتألم انت وترفض السعادة كي تكشف سرها وتدرك حقيقتها فتدل الناس عليها . ان ادبك مصدر آلامك ، ولكنه رسالتك في الحياة ، فتضحي بنفسك لاسعاد غيرك . يا ليتك ترضى بالسعادة لنفسك ولكنك تنبذها كي تهدي غيرك اليها . ما اكثر متناقضات الحياة ، ولكنك تقول ان الحقيقة فــي المتناقضات . ولعل شغفك بالمتناقضات جعلك تنشــــد السعادة في الالم . اني اخاف ان افقدك يا حبيبي لسعادتك معي . ما اسعد حياتنا معا في ظل بيتنا هذا . ولكنك منذ ان تزوجنا لم تكتب شيئا . هذا آخر كتاب ظهر لك . لقد كنت طيلة هذه المدة كالطير عند الفجر ، سعيدا مرحا . واني خائفة قلقة . لم لم ترجع الى البيت حتى الان ؟ هــل مللت السعادة معي يا حمدي ؟ هل تظن انك خنت ادبــك واهملت تأدية رسالتك ؟ هــــل مللت السعادة معي يا حمدي ؟ » .

ونظرت الى القسم الشاغر من الفراش نظرة طويــلة ثم تنهدت واطفأت النور واستسلمت لنوم تخللته كثير من الاحلام .

***

وفي صباح اليوم التالي استيقظت سامية مع طلوع الفجر ، ونظرت خلسة الى السرير عن يمينها فلم تجد فيه احدا غيرها . وادركت ما وقع . اكانت تحلم في منامهــا أم كانت تلك الافكار هواجس الحقيقة تخبرها بما سيحصل قبل ان يحصل ؟ ونهضت من الفراش بتثاقل وذهبت الى ردهة البيت فوجدت رسالة تنتظرها في صندوق البريد . وفضت الغلاف فاذا ورقة صغيرة عليها كلمات قلائل تقول :

« حبيبتي سامية ،

كلمة او كلمتان مما قل ودل . لقد جعلتني سعيــدأ في الحياة فلم اطق السعادة . اذ نبض معين فكري وجف قلمي . والان انشد الالم بالابتعاد عنك وعن جو السعادة . سمعت تأوهات الناس فاردت ان اتألم معهم . ولكنــي احبك . انت ادرى مني بهذا . اننا زوجان حتى على البعد. سأعود اليك لارتشف كأس السعادة ، ولكن من حين الى حين . وانت تفهمين . سأكتب اليك وستكتبين الي . فالى اللقــــاء .

« حمدي »

***

نظرت سامية الى الرسالة طويلا وقرأتها مرة ومرتين وثلاثا . ثم عادت الحياة تدب في قلبها وعاد اليها نشاطهــا وهمست تخاطب حمدي عن بعد .

« انا سعيدة بحبك يا حمدي ولا اريد من الدنيــا سواه . ستعود الي يا حبيبي عندما لا تطيق حتى انــت آلامك . فالى اللقاء يا حبيبي . اني انتظر . »

انجلترا ــ جامعة درهام

معاوية الدرهلي

شعر اشقر

✳

نثرَ الشَعر يــا رداحُ   يفرشَ الثوب والوشــاح
مثلما يفتحُ الجناحُ
طائرُ البحرِ في الصباح
شعرك المرســل اللعوبُ   نسلتـــه يد الغــروبُ
غسقاً رائع الشحوبُ
وسنى الفجر سرّحـــه
فانشريه كمروحـــه
في أكفٍ مرتَحـــه
واتركي تبره الطروبُ
يزرع الشوق والطيوب
ويغنيّ على الوشــاح
رفة الغنج من جناح ...

✶

شعرك الناعــم الذهيب   فوقه يخجــل المغيب
عقدةٌ تغزل اللهيبُ
فاذا الوجد في القلوب
كلمــا رفرفت يذوب
لشذىً قيل لا يتاح
لسوى النور والرياح

✶

تعب النور في الاصيلُ
تعب المسبل الطويــل
تعبت شقرة الضيــاء !
تعب الشعر يــا رداح
فطوى الشوق واستراح
مثلما يطبق الجنـــاح
طائر البحرِ في المساء !!

فنزويلا

فؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

بقلم انسي لويس الحاج

بيتهوفن

مهداة الى رشدي المعلوف

*

مراحل من حياته

في السابع والعشرين ربيعا وفي السنة ١٧٦٧ ، تزوج جان فان بيتهوفن بماري مادلين لايم ، وهي ارملة في الحادية والعشرين ، من اب طاه . عاشت بكنف زوجها الاول سنتين ثم مات فتزوجت جان وكان سكيرا ماجنا فقضت معه حياة بؤس وعذاب . وكانت شقراء ذات عينين زرقاوين جميلتين صافيتين . وقد كتب بيتهوفن يقول : « لقد كانت لي اما طيبة ومحبة وافضل صديق » .

ماتت ماري مادلين بداء السل والموسيقي الشاب قد بلغ ربيعه السادس عشر ، اي في ١٧٨٧ . وانها هي التي بعثت في نفس ولدها ما نجده من حساسية مرهفة وانفعال شديد . وان ما كانت تعترف به لولدها الصغير بما تعانيه من احزان ومتاعب اعطاه طبيعة رزينة مبكرة والشعور بالمسؤولية وهو بعد حدث .

ويقول هنري بيدو في مبحث له في ايستوريا : « ان هذا الصبي الذي اصبح اعظم عظماء الموسيقى واعمقهم انسانية ، ابصر النور في هذه البيئة من الفنانين والمجانين والمرضى والسكيرين ، عام ١٧٧٠ ، ممهورا بشعور موسيقي مرهف الى حد الغرابة » .

وقد لاحظ والده هذه المواهب الخارقة المبكرة التي تنم عن عبقرية متفوقة ، فعزم على تدريبه ، وفي الخامسة علمه العزف على البيانو والفيولون . وكان الصبي يبكي ويحاول عبثا ان يتملص . فقد كان عليه ان يتمرن ساعات متواصلة ويلعب بعدها ما شاء . وتنبه ابوه بعد سنتين لوجوب تعليمه شيئا آخر غير الموسيقى ، فادخله المدرسة . ولكنه لم يتعلم الشيء الكثير ، وعند تركه مقعد الدراسة كانت معلوماته المدرسية لا تزيد عما كانت عليه اذ بدا يتعلم . ولم يغتفر بيتهوفن لنفسه هذا الخطأ طوال حياته .

ما احب ودرس بامعان الا الموسيقى . منع عليه ابوه ، في اول الامر ، ان ينظم قطعا بنفسه ، كي يستطيع الانصراف تماما الى الدرس والتمرن . ولكنه اخذ يؤلف سرا تدفعه الى ذلك رغبة جامحة . وفي ذات مساء لم يعد يقدر على اخفاء منظوماته وعوضا عن ان يعزف ما تعلمه في النهار ، شرع يعزف قطعة من تخيلاته . وصارح اباه بذلك فرفض ان يصغي اليه مؤنبا غاضبا . وفي اليوم التالي ما زال الفتى يلح حتى نزل الوالد عند رغبته فلم يسعه الا ان يعجب حقيقة بالعزف وامتلأ قلبه غبطة ونشوة بمستقبل بسام يعد بالمجد .

في التاسعة تعلم العزف على الارغن على يد هولندي يدعى فان ديرايدن . ثم عقبه بعد سنة كريستيان نيفي الذي يعد استاذ بيتهوفن الاكبر .

بدا بيتهوفن اولى جولاته منذ ١٧٨١ ، مارا ببلجيكا وهولندا . وقد طبعت اولى مؤلفاته عندما بلغ الثانية عشرة . وفي السنة ١٧٨٤ توسط له استاذه نيفي فعين بمنصب فني لا بأس به الا انه لا يعود بالمال . على ان نيفي تمكن من الحصول لتلميذه من الحاكم على منحة دائمة قدرها ١٥٠ فلوران ثم من جعله بيانيست مرافقا في احد المسارح .

كان اول عهده يعزف بقوة ونظام وبحركات ملؤها الحياة والنشاط . وان عبقرية الارتجال كانت غريزية فيه ، وهذا ما ادهش فيما بعد اشد اعدائه الالداء . ولم يكن والده ليفكر يوما في جعله ناظما . ومن حسن طالع الفتى ان بادر نيفي بتعليمه الارموني l'harmonie وفتح بذلك طريقة لعبقرية .

كانت فيينا ، حيث موزار ، من اهم الاوساط الفنية وخاصة في الثقافة الموسيقية . وارسل اليها جان بيتهوفن ابنه في السنة ١٧٨٧ . وعندما فرغت جيوبه عاد الى بون . وفقد في السنة نفسها امه واخته الصغرى مرغريت: « ان القدر هنا ، في بون ، هو لي بدون رحمة » .

ويقول فيزافا : « ان والده اليائس مثله ، الخائف من مسؤولية اعالة بيته وحده ، والمخيب في جميع طلبات الاعانة ، لم ير دواء لعلته سوى تمضية ايامه بلياليها في الخمارة ، وكان من واجب بيتهوفن حتما ادارة شؤون

المنزل : كان عليه كسب المال والعناية بادارة البيت وان يدفع للخادم راتبها وان يراقبها » !

على ان حالته المادية ما لبثت ان تحسنت في اواخر العام اذ تمكن من اعطاء دروس في الموسيقى عند احدى الاسر الثرية . وكان في الوقت نفسه يعني بتثقيف اخت تلميذه الكبرى ، اليونور برونينغ . وفي هذا الجو العائلي الناعم احيط بكل عناية وتقدير فما عتم حتى خبر العديد من امور الدنيا وحذق فن المحادثة وتذوق تآليف عدة لبعض الشعراء ، وطالما كان يغيب في التفكير بشعرهم وسيظل يقراهم حتى موته .

وهكذا اثرى فكره بثقافات شتى عدا انه تخلص من ربقة الحزن وغشاوة التشاؤم التي كانت تلازمه . وصار لا يبالي بكيفية الحصول على الرزق فهو مؤمن بطريقة التدريس ، وبالتالي فقد بات مقيضا لاخوته ان يدخلوا المدرسة . ومن بين من عرفهم وحدبوا عليه ، الكونت ده فالدستين ، وهو من اشهر اعيان النمسا . فاهدى اليه هذا بيانو واقام له حفلة باليه ... وبكلمة فقد كان سعيدا .

وعاد في السنة ١٧٩٢ الى فيينا . وكان الفصل خريفا . ويقول فيزافا : « في فيينا لم يطل الوقت على بيتهوفن حتى اشتهر وحظي بتقدير الجمهور ، بفضل موهبة البيانيست فيه وسحر ارتجالاته وبديعية عبقريته .

ان ممثلي ارقى طبقة الاشراف النمساويين يدعونه للسكن عندهم ، يعاملونه باعتباره واحدا منهم ويذعنون بتواضع لكل رغباته . حفلاته تتوج كلها بنجاح عظيم ، وقد اصبح الناشرون يتزاحمون على سوناته ، وتطلب منه الاميرات الجميلات مقطوعات فارياسيون Variations ومديرو المسارح باليهات .

« انه يعتاد اكثر فاكثر مباهج الحياة : ولكن في الوقت نفسه تنمو عنده طبيعة متكبرة وغريبة ، نوع من شعور مفرط بقيمة الذات ، وشتى المقابح التي لا يندر وجودها عند عازفي البيانو الناجحين » .

غب وصوله بقليل الى فيينا نظم فينال التريو الثالث . لكنه ما لبث ان ابدى تكاسلا في اعماله واستهتارا بها فصارت لحمة منظوماته اضعف من ذي قبل وجل تآليفه يعوزها طابع العظمة التي اتسم بها اول نتاجه ، وظهرت فيها قلة الجهد فهي ذات جمال خفيف ووقع اخف وسحر عابر .

ذلك انه بدا ينام على امجاده مكتفيا بما ضفر له من اكاليل الغار . كان لا بد له من ان يظل في هبوطه ، ينحدر من قمة المجد الى الحضيض ، بل يهوي ، ويستوي عليه مع بقية المخفقين ، فيمر على صفحة الحياة ولا يكون قد ترك فيها سوى سطرا واكثر بقليل ، امر انا وتمر انت عليه مر الكرام ، ثم ما يلبث ان يخبو فنعتو عنه ويموت بيتهوفن .

قلت انه كان سيقع ، عثرة صغيرة ويهوي الى اسفل . وكاني به وهو يمشي على الشفير مجلببا بالضباب كالذي يفتت روحه فاذا بالسماء تسود وتربد الدنيا من حوله ، ويتكاثف الضباب ، وترعد وتبرق وتجن الريح وتزعق ويسخط المطر وتقوم الارض قومتها الكبرى ، فتصخب وتقهقه وترقص مجنونة ، وقحة ، عاهرة ، وتغني في صراخ ، في عويل ، في نواح ، وفي هينمة وسحر وهمس . وفي قلب ذلك كله واحد يسير كئيبا ، اصفر ، ابله . وفجاة يقفز شيء من زاوية هوجاء تلعب فيها زوابع تزار وتزغرد ، ويمرق مثل السهم ، مروسا ، حادا ، ويصطدم بالانسان الابله ويلطمه عنيفا ... ويمر يوم ، والعاصفة تموت ، ويعيش الرجل من جديد وقد ماتت من اذنيه الحياة .

ذلك ما اعتقد . (ولا اخالني السباق الى هذا الراي) . فان بيتهوفن لولا ما اصيب بالصمم وبغيره من العلل المنهكة لما كان لنا منه الروائع .

بدات اولى اعراض الصمم منذ ١٧٩٦ . ويرجع ذلك الى جدري اصابته في صغره كما يرجح الكثيرون . وكان هو يرد دوي اذنيه الى داء معدي كان يشكو منه .

ان الاعتراف الاول بصممه بثه في رسالة الى احد اصدقائه في السنة ١٨٠٠ . كما كتب من بون الى فيجلر صديق حداثته ، في السادس من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٠١ يقول : « لقد تحسنت حياتي قليلا واني اكثر اختلاطا

بالناس . تكاد لا تصدق اية حياة منفردة وحزينة عشت منذ سنتين . لقد ظهر لي ضعف سمعي كالشبح ، وكنت اهرب من الناس وابدو دون شك مبغضا لهم ، على الرغم من انني لست كذا بالفعل .

« ان فتاة طيبة القلب وجميلة تحبني واحبها ، احدثت فيَّ هذا الانقلاب . ، منذ سنتين استرجعت بعض هنيهات سعيدة وللمرة الاولى اشعر بان الزواج بوسعه ان يجعلني سعيدا . ولكن ، للاسف ، انها ليست من طبقتي ، وبعد فلن يمكنني ولا شك ان اتزوج . لم يبق لي الا ان اتم مهمتي بشجاعة . ولولا اذناي لكنت من زمان طفت بنصف العالم ، وهذا ما ينبغي ان افعل . ليس عندي الذ من ان امارس مهنتي وانتج في حقلها . لا تحسب انني اكون اسعد حالا بينكم . اي شيء اذا يجعلني اقوى سعادة ؟

« حتى عنايتك انت تسيء الي . في كل لحظة تطالعني الشفقة في وجوهكم وسيزداد بؤسي . ماذا ابقت لي بلدات وطني الجميلة ؟ لا شيء سوى امل في حالة افضل . وكان هذا تحقق لولا دائي . آه ! لو تخلصت منه لاعانقن الدنيا ! شبابي لم يعد طور البداية ، نعم ، فاني اشعر بذلك . الم اكن دائما قبل رجلا واهنا ؟ ان قوتي الجسدية تزداد منذ بعض الزمن ، اكثر من اية مرة ، ومعها قواي العقلية . كل يوم اقترب من الهدف الذي احسه ، ولكن لا يمكنني وصفه .

« هنا ليس الا يستطيع بيتهوفن صديقك ان يحيا . لا راحة البتة ! لا اعرف من ذلك الا النوم ، واني لجد آسف لاضطراري الى النوم اليوم اكثر من قبل . ليذهب عني نصف دائي فقط ، وعندها اذ اكون قد اضحيت رجلا مكتملا وناضجا ، اقصد اليك واجدد صداقتنا القديمة . لن تجدني عندئذ سعيدا الا بقدر ما قيض لي ان اكون في هذه الدنيا . ولن اكون بائسا ، لا ، لن يمكنني تحمل ذلك . اريد ان اقبض على عنق القدر . ولا شك في انه لن يصرعني تماما . آه ! انه لجميل جدا ان تحيا الحياة الف مرة ! حياة صامتة ؟ كلا ، اشعر باني لم اخلق لذلك » .

من آثار هذا الحب La sonate pour piano en ut dièse mineur والتي يسمونها ايضا سونات ضوء القمر وقد اهداها الى الكونتيس جولي غويكياردي .

وهذه الصفحات الثلاث تزخر بالشعر واحيانا بالغموض ، واحيانا اخرى تبدو سهلة وبسيطة .

ثم فصلت خطبته مع الحبيبة في العام ١٨٠٢ ، ويقول شانتافوان : « لجأ بيتهوفن يائسا الى ايدل سرسي عند صديقته الكونتيس اردوبدي . وان انفراده باليجنستاد ، بالقرب من فيينا ، حيث امضى الصيف بعيدا عن الناس والضجة قصد تهدئة اعصابه واستشفاء لاذنيه ، كان ليزيد في مرارة نفسه » .

ولم يلبث الخوف ان انتابه فتراءى له انه لن يشفى ، فشرع يكتب الى اخوته هذا الاعتراف الرائع ويبثشجونه ولواعج نفسه واحلامه ووداعاته ، وهذه السطور يدعونها « وصية اليجنستاد » :

« ايها الناس ، انتم الذين جعلوا مني مبغضا شرس الطباع وحقودا ، كم تسيئون الي ! انتم لا تعرفون السبب الخفي لما يبدو لكم في ! ان قلبي ونفسي جنحا منذ صغري الى شعور الحدب الحنون ، وحتى لقد كنت دائما باستعداد لاتيان اعمال كبيرة . لكن اعلموا انني ، منذ ست سنوات ، اصبحت بحالة مستعصية زاد خطورتها اطباء حمقى .

« وهكذا ، كانوا يضحكون مني كل سنة ، ويأملونني بتحسن ، فاضطررت الى التسليم بان دائي مزمن (وان الشفاء منه ان لم يكن محالا ، فقد يستغرق سنوات) ، وبزغت في طبيعة متقدة ملتهبة ، منفعلة حتى بلهو المجتمع ، واضطررت من ثم الى العزلة بنفسي والعيشة وحيدا . وكنت ازعم احيانا ان ارتفع بذاتي عن كل ذلك . اواه ! كيف خيبت عندئذ ! وباية قساوة الجئت عندها الى تكرار الاختبار الشاق : اختبار صممي ؛ على الرغم من انني لم اكن بعد استطيع ان اقول للناس : تكلموا عاليا ، اصرخوا لانني اصم .

« اواه ! كيف كان يمكنني ان اعلل ضعف حاسة كان ينبغي ان تكون لدي في اقصى درجة من الكمال ، وكنت احتفظ بها قبل في احسن حال كما لم تتوفر لغير القلائل من اصحاب مهنتي ! اواه ! لا استطيع ذلك . فاعذراني اذا، اذا رايتماني انحاز عن طريق كنت اود من الصميم ان التقي على صعيده واياكما .

« شقائي يزيد ثقلا علي ، اذ انه يجب ان اتنكر . فلا لهو في مجتمع الناس ، ولا احاديث قيمة ، ولا مناجات وبوح بالشجون مع الاخرين .. وحيد ... ان حاجة في غاية الضرورة اسمح لنفسي معها بان انساق الى المجتمع . يجب ان اعيش كالمنفي . اذا اقتربت من مجتمع ما يتملك مني قلق محرق ، لانني اخشى التعرض لما يكشف عن حالتي . وهكذا ايضا طوال هذه الاشهر الستة التي قضيتها في البرية ، يدفعني الى ذلك طبيب احمق لاريح اذني قدر الامكان كان يعاكس رغباتي ، على اني كنت انقاد معها احيانا الى حيث اضيع عن واجباتي ، مدفوعا بغريزة المجتمع في. ولكن ، اية مذلة لي ، وواحد بقربي يسمع في البعيد الحان الناي بينما لا اسمع شيئا ، او ان يصغي واحد الى غناء الراعي ، وانا ايضا لا اسمع شيئا ! مثل هذه الحوادث كانت لا بد من ان ترمي بي في اليأس . وقد وصل بي الامر مرة الى ان كدت انتهي بالانتحار .

« الفن وحده ردعني . آه ! كان يتخيل الي انه من المستحيل ان اترك العالم قبل خلق كل ما كنت اشعر بانني وجدت من اجله . وهكذا اطلت هذه العيشة البائسة . حقا انها بائسة ، جسم نزق الى حد ان تبدلا سريعا يطرا بوسعه ان يرمي بي من احسن حال الى اردئها .

« صبراً ، لقد وصلت ؛ انها هي التي يجب ان اتخذها دليلا لي . لقد فعلت ذلك . آمل ان يدوم عزمي على الانتظار حتى يعن للاخوات بارك العديمات الشفقة ان تقطعن الخيط . ربما تتحسن حالي ، وربما تزيد سواء فقد تشجعت . في الثامن والعشرين اضطر لان اصير فيلسوفا فهذا ليس بسهل ، وانه لاصعب على الفنان منه على اي كائن آخر . ايتها القوة الالهية ! ان نظرك ينفذ الى اعماقي وانك تعلمين ان الانسانية وميلا الى الخير ما تزالان فيها . ايها الناس اذا قراتم يوما هذه السطور ، فاعلموا انكم اسأتم فهمي ! ليتعز البائس بان يجد كائنا يشبهه يبذل كل شيء في سبيل قبوله في مصاف الفنانين والرجال المقدرين ، على الرغم من العواقب التي اقامتها له الطبيعة .

« انتما ، يا اخوي كارل ويوحنا ، عندما اكون قدمت ، واذا كان الاستاذ شميدت لا يزال حيا ، ارجواه باسمي ان يشخص مرضي ، وضما المخطوطة هذه الى قصة علتي لكي يرضى العالم عني بعد موتي ولو بقدر الامكان .

« في الوقت نفسه ، اعلنكما هنا انتما الاثنين وريثي الثروة الصغيرة (اذا امكن تسميتها كذا) التي ساخلفها . اقتسماها بعدل ، تدبرا اموركما وتكاتفا . ان ما فعلتماه ضدي تعرفان انه غفر لكما من زمان طويل . انت ، يا كارل ، اشكرك ايضا بوجه خاص على العطف الذي ابديته نحوي في هذه الايام الاخيرة . امنيتي ان تكون حياتك في الغد افضل واوفر انعتاقا من الهموم من حياتي . اوصيا اولادكما بنهج جادة الفضيلة ، هي وحدها تستطيع ان تجعلنا سعيدين ، لا المال ، وانني اتكلم عن خبرة . فهي التي رفعتني من البؤس . اني اشكرها كما اشكر فني ، لانني لم انه حياتي بالانتحار . الوداع وتحابا .

« قضي الامر ، اني امشي بفرح للقاء الموت ، ان هو اتى قبل ان يتاح لي اظهار مواهبي الفنية كلها ، سيقبل علي ، على الرغم من طالعي المؤلم ، مبكرا . وكنت اتمنى لو يتاخر اكثر من ذلك الا انني عندها ساكون ايضا سعيدا . الن ينقذني الموت من عذابات لا تنتهي ؟ تعال متى شئت . انني امضي بشجاعة للقياك . الوداع ولا تنسياني تماما بعد موتي ، فاني استحق هذا لانني في الحياة غالبا ما فكرت فيكما وفي ان اجعلكما سعيدين . كونا هكذا . »

لودفيغ فان بيتهوفن

بعد مضي اربعة ايام يضيف حاشية على ما كتبه وكانت الشجاعة قد فارقته والامل يذهب عنه فيطلب الرأفة ويتوسل ان يترك ايضا نهارا واحدا في الحياة ، نهار فرح .

... كما تتساقط اوراق الخريف ذابلة ، هكذا املي ، انه بدوره يبس في . اكاد امضي من هنا مثلما جئت .

« حتى هذه الشجاعة القوية التي كانت تنبض في ايام الصيف الغريرة ، فقد اضمحلت . ايه ايتها القوة السماوية ! دعي مرة واحدة ، يوما واحدا فقط من السرور يتراءى لي فمن زمن طويل وصدى السرور الحقيقي غريب عني . اواه ! متى ، اواه ! متى ايها الرب استطيع ان احسك من جديد في معبد الطبيعة والبشر ؟ ابدا ؟ لا آه ! فان ذلك لجد قاس ! »

اي خوف ينبعث من هذه الكلمات ! اي توسل وخضوع وخنوع في سبيل الاستزادة ولو يوما واحدا من الحياة ... ! وهو الذي يكره ان يذل ويكره الخنوع والتوسل والبكاء ...

عندما تزوجت جولي غويكياردي كونتا شابا بقي بيتهوفن يعتقد مع ذلك بانها تحبه اكثر من زوجها ، ولكنه كان يمقتها وينتقم منها بازدراء لما سببت له من عذابات .

ويقول هنري بيدو : « ان الانسان الذي جاء الى العالم بهذه العاصفة كان يمر بالعالم كباحث عن الاحلام ، سريع الغضب ، صبياني الطباع . كان ضائعا في اوهامه .

وان قوى الطبيعة التي كان مدينا لها بصوت ، كانت تحاصره كجماعة من الدائنين ، مثل اشباح ترغب في جسد ، ها هو بدون حراك في الظلام ، ينظر في البعيد الى انوار الوادي، ويولد في مخيلته شرزو السمفونيا التاسعة . الافكار التي لا يمكن ان تولد الا بواسطته تطارده كما ، في لوحة برودون، تطارد الصور المجنحة الرجل الخائف الهارب ، وفي يدهـا مشعل ليضل ليلة تحت المطر ، فتمسكه من عنقه الاباسيوناتا بلحنها العاصف. لم يكن اخا الطبيعة البشري، وانما الطبيعة بالـذات .

في ابن الشعب هذا ، الذي بقي نصف متوحش ، كان دم موسيقيي الفجر ونهر الرين المتجولين ، ما يزال يغلي. لم يكن يقدر على ان يتمركز في مكان . وغالبا ما كـان يستأجر مساكن عديدة في آن واحد ، فيكاد لا يستقر في منزل حتى يتركه . ولم يثبت اقامته اخيرا في بيـت « السلة السوداء » الا ليموت فيه ...»

كأي فنان عبقري نذر حياته لفنه وانصرف اليـه بكليته ، بقلبه وعقله وحواسه ، بروحه وجسده ، وبحياته تحترق ولا ينى يشعل لها الوقود بجودة ، بسخاء مفرط ، ليطعم ذاته او مواليد ذاته من عجزوا عن احراق ذواتهـم او خافوا وضنوا ... كأي فنان يعشق فنه فيجعله هذا يبدو بمظهر شاذ ، احيانا ، لا يلائم السواد الاعظم مـن الناس ، كان بيتهوفن كالمجنون بهيأته ، (مثلما كان شوبان كالميت) ، يمر في احياء فيينا بشعره الاسود ووجهـه المورد وملاغمه تستعر في شرايينها النار . وكان الاولاد يفزعون منه احيانا ، وكثيرا ما سمعوه يتمتم كلمات بلهاء ، او حسبوها كذا ، وكأنه يخاطب « الهة باطنية » .

وبلغ به هوسه بموسيقاه الى ان ذهب الى الكنيسة يوم زفاف احد اصدقائه « سبينا » ، واعطاه امام الحضور المدهوشين صفحة موسيقى .

من هذا الحاذق الذي اقيمت له من قبل الحفلات في الصالونات ، لم يبق سوى شبه مجنون محزن ، ولكن اصم . كان يخيف الاوركسترات التي يديرها ولا يسمعها. ويوم عزف للمرة الاولى السمفونيا التاسعة ، انفجر الجمهور تصفيقا . لم يكن بيتهوفن يسمع شيئا . ونبهته الى ذلك كارولين انجر التي كانت تغني قسم الكونترالتو . فالتفت وراى الجمهور يهتز اعجابا والمناديل تلعب فوق الرؤوس والايدي تغيب في تصفيق مجنون كان صداه يموت عند اذنيـه ..!

وقد احب بيتهوفن الاسفار فكانت فكرتها تراوده في احلامه ويود لو يطوف يوما بالدنيا فيقف على بعض عظمتها وكنوزها ؛ ولكنه لم يحقق من ذلك شيئا ، وكل ما كان له من الدنيا بعض بقع صغيرة من قرى النمسا يقبع فيهـا متنقلا من سرير الى سرير ، مستشفيا حاملا في جنبيه قلبا يضج بالوجع وغصات تختنق وتحشرج .

واحب ، ولم يكن في حبه كمعظم الموسيقيين . كـان عفيفا ، صادقا ، يهب قلبه كل من يراها ابتسمت له ويتمنى في سره لو يموت من اجلها ، كالصغار ، مثل كل انسان يحب الحلاوة والجمال انى وجدهما مطابقين نفسيته . وقد احب بيتهوفن من الصميم ولم ينل لقاء اخلاصه شيئا . وكان هو يتألم من ذلك في صمت ، وفي وحشة لياليـه الباردة والخدر يأكل اذنيه والكآبة ضلوعه .

على ان الغدر الذي كان يمنى به لم يمحُ في نفسه حب الوفاء والشعور الدائم به ، فنظم فيه لحنا خالـدا هـو Fidelio.

وبيتهوفن كان مؤمنا . ولا يستغرب هذا عند موسيقي ذي قلب في غاية الطيبة وشعور مرهف يعيش معه في جو سحري من الروحانيات . فكان الله ملجأه الدافىء يأوي الى حضنه كلما خانه الناس ، واوجعه الخدر في اذنيه ، كلما غاص في وحشة عمره ، في صمت نفسه العميق ، في صممه البارد الفارغ ، تدوي في سمعه وترن وتطن اجراس وهمية تارة بعيدة وطورا منتصبة امام عينيـه ، تمتزج قرعاتها ببعضها فتؤلف لحنا مجنونا يزغرد ويقهقه ويصرخ ويبكي وينوح ويهدر ويدندن ، ثم يعود الى الصراخ والقهقهة الفاجرة ، كأصوات الجان في واد سحيق ، فـي الليـل ، يرجمها ويجترها باستمرار الصدى المخيف ...

نظرات في موسيقاه

« ليس بيتهوفن حنينا الى عالم الغيب ، وانما امتلاك له ، وبحث عن السعادة ، واستحـواذ الرخـاء الابـدي ، والازلية التي تجعل الوقت ينساب بين اصابعه (1) »

ويقول الاستاذ جورج جرداق في كتابه فاغنر والمرأة(2) أ « بات لا يساعده (الكلام على فاغنر) على خنق آلامـه الا الليالي الجميلة الطوال يقضيها وحيدا على ضوء مصبـاح شاحب ، في نسخ آثار بيتهوفن ، هنالـك حيـث تلعب الفوضى وتبكي على نفسها المناهج والطرق والخطوط التـي اعتمدها الاساتذة الموسيقيون ، وحيث تلتمع الطـراوة ، والحياة ... هنالـك ، في هـذه الموسيقى العجيبة التـي تشبه شعر شكسبير وتأملات غوته وفوضى روسو ، كـل الحقيقة وكل الخلود ! »

ان موسيقى بيتهوفن تقضي لفهمها عقلا نشيطا قويـا يستوعب خفاياها واحساسا يدرك الغازها وغموضهـا ويستطيع مجاراتها في الطرق التي تسلك ، في ارتفاعهـا وهبوطها ، في صخبها وهدوئها وفي رجائها وتمردهـا وعنفها وحبها والمها ..! والشعور المرهف هنا لا يمثـل الدور الرئيسي كما هو الحال في موسيقى شوبان مثلا . فموسيقى بيتهوفن قوتها في غموضها بينما موسيقـى

(1) Paul Claudel : Figures et Paraboles

(2) دار المكشوف .

شوبان تنساب كمياه الجدول ، صافية ، عذبة ككرة العندليب ، تحس معها بدون جهد بان صاحبها ينصهر ويذوب في انغامها ، ففي كل لحن من الحانه قطعة من قلبه .

وثمة من يؤثر موزار على بيتهوفن بحجة « ان موزار يبوح لنا بكلمة السر ويعطينا « المفتاح » العجيب الذي يمكننا من تحويل الاحاسيس المضنكة الممزقة ، وحتى الالم ، الى متعة ... (٣) » ويقول ايضا ارنولد دوكرشوف : « عندما ينشد بيتهوفن الالم ، فهو يردنا الى المنا ويقيدنا به ، لانه لم يقطع الا نصف الطريق المؤدية الى الموسيقى الخالصة فبقي على مقربة من الادب والبوح والمشاركة ، في حين اننا لا نرى شيئا من هذا عند موزار . هنا الالم والحب والشوق واللذة والغيرة تتحول جميعها الى موسيقى ، ونحن بدورنا نتحول الى انغام خالصة عندما نلتهم هذه الموسيقى ، اذ نتحرر من جميع الافكار والقيود والاحاسيس التي تربطنا بالعالم الخارجي وبأنفسنا » .

ويلتقي شوبان دوكرشوف في تفضيل موزار ، واليك ما يقول : « عندما يغمض بيتهوفن ويبدو مخالفا للوحدة ، فما ذلك نتيجة هذا التجديد المزعوم والقريب من الفوضى الذي يفاخرون عنه به ؛ ذلك انه يضرب عرض الحائط باصول ازلية ؛ واما موزار فلا » .

لقد اهمل بيتهوفن هذه الاصول فعيّره ذلك شوبان وسّواه ، وربما يكون اهماله تمردا ، بل هو تمرد ، هي فوضى كما يقول الاستاذ جرداق ، فوضى في دنيا القوانين والنظم ، فبيتهوفن كان له من عبقريته ما شفع بتمرده ، وكان في فوضويته خالقا مجيدا لم يجاره احد حتى الآن .



الف بيتهوفن ، في ما الف ، ستة عشر كواتيور . منها الخامس عشر

«Quatuor pour 2 Violons, Alto et Violoncelles»

وقد اضاف الى هذا العنوان الكلمات التالية : « مرفوع الى سمو الامير نيقولاوس ده غاليتزان عقيد حرس جلالة امبراطور الروسيا جمعاء » . والكواتيور قطعة موسيقية من اربعة اقسام . والكواتيور الذي نحن بصدده يؤلف من السمفونيا جزاها الاساسي . وهو الى ذلك الهيكل حيث ترتكز جميع الابنية السمفونية في الاوركسترا ، انه المجموعة المنسجمة الكاملة لشرح الموسيقى الصافية ، لذا فما من واحد نظم فيه الا بعد ان اطمأن الى صحة فنه وجدارته .

ولئن تكن سهلة في الظاهر ، فموسيقى الكواتيور صعبة العزف . وقد كان بيتهوفن في الواحدة والثلاثين عندما طبع اولى كواتيوره وكان عندئذ يكتب لاحد اصدقائه ، افاندا : « الآن ، ليس الا ، صار بامكاني ان اجيد كتابة الكواتيور » .

واما الكواتيور المعني هنا ، اي الخامس عشر ، فقد كتب في العام ١٨٢٥ وفي حالة صحية مريبة . فان بيتهوفن يهدده داء الكبد الذي سيفتك به بعد سنتين . واصيب في هذا الوقت بالتهاب معوي ثم بالتهاب شعبي مع نزيف دمي من الانف وتف الدم ... في هذه الحالة من الالم المتواصل الف الاصمّ الجبار الكواتيور الخامس عشر ، على ان ثمة مقولا ان الحركتين الاوليين هما سابقتان لمرض بيتهوفن ، ومن ١٨٢٢ على وجه التعيين .

الحركة الثالثة ، مولتو اداجيو ـ اندانت ، هي التي تسم هذا الكواتيور بطابع خاص ، وقد عنونها بيتهوفن باللاتينية ليطعم ذاته او مواليد ذاته من عجزوا عن احراق ذواتهم « انشودة عرفان جميل ، يهديها الى العزة الالهية شاف من مرضه ، على الطريقة الليدية » . كتب هذا القسم في اثناء استشفائه في بادن ، قرب فيينا . فقد احس بالعافية تعود اليه ، فاحب ان يشكر السماء على هذه الهبة الثمينة بانشودة فيها من السماء جمالها وتقلباتها وخلودها .

ومما يجدر التنويه به هذا النغم الهادىء الذي يخلف اداجيو البدء والذي يعبر عن مشاعر ناقه يسترجع عافيته شيئا فشيئا ، بعدما حسب انه لن يشفى . على ان كآبة عميقة ترون احيانا . وفي الختام تعاد انشودة البدء مع تغيير قليل .

واما الحركة الرابعة فهي قصيرة وتنتهي بعزف آلاتي يذكر بعزف السمفونيا التاسعة .

انه اثر قيّم في تراث الموسيقى يرتكز على ايمان مؤلفه المتين . ومن آثار هذا الايمان ايضا تحفة اخرى وضعها بيتهوفن سنة ١٨٢٣ ، بعد خمس سنوات من بدايتها .

(٣) موسيقى ... ترجمة موريس صقر : الآداب ، ديسمبر ١٩٥٤ .

انها الميساسوليمنس اي القداس الحافل . وهي مستوحاة من الاناجيل . اعدَّ بيتهوفن الميساسوليمنس لمناسبة تسلم الارشدوق رودولف الحكم في مقاطعة « اولمتز » في المانيا . ولكن مضى على هذا الحدث السياسي خمسة اعوام حتى انتهى الفنان من وضعها نهائيا . فقدمت للمرة الاولى في السنة ١٨٢٤ في حفلة رعاها امير بطرسبرغ .

تتألف الميساسوليمنس من مقاطع خمسة . اولها ــ يا رب ارحم ــ استسقاء للرحمة ويشترك فيه اصوات الجوقات الاربع ، مع انفراد بعض الاصوات احيانا .

وثانيها ــ المجد لله ــ وهو التسبيح ، انه تهليل غنائي بهج يرون عليه احيانا عزف آلات النفخ وقد يوحي البهجة والاطمئنان، واحيانا اخرى موسيقى الآلات النحاسية وهي تنطق بآلام المسيح ، ولقد بلغ بيتهوفن ذروة عالية في اجلاء هذه الآلام ففاق باخ نفسه في قداسه .

واما المقطع الثالث فهو مقطع الايمان ، ايمان الرسل وهو يلتقي في جوهر واحد . وينتهي « بآمين » وبفورة تتصاعد الحانها تدريجيا لكانها سلالم يرتفع بها المؤمن الى السماء .

وفي « القدوس » ، المقطع الرابع ، يلعب الارغن الدور الرئيسي في اشاعة جو وقور حافل يزخر بالايمان الحار وينطق تقديسا عظيما وسجودا لمجد الله . هذا الى جانب آلات النفخ والوتر .

اما المقطع الاخير « حمل الرب » فيبتدأ بنداء من الاعماق طلبا للرحمة والسلام . وانه كذلك تتسع فيه الحسرة والخوف والقلق . الا ان ذلك لا يلبث ان يمحوه اجتماع الآلات والصلوات والاصوات كلها في ابتهال وصلاة رائعة تبعث في النفس الطمأنينة والراحة .

ان الميساسوليمنس من اصعب المعزوفات فهما وخاصة اداء . فقد اول فيها بيتهوفن الاناجيل كما فهمها هو ، متحررا من اي ضغط او تقليد . وقد قال عنها بيتهوفن نفسه انها اكمل تحفة : « لقد كانت غايتي الاولى ان اعبر عن الشعور الديني واوحيه الى المستمعين ، وكما صدرت هذه الالحان من القلب ينبغي ان تذهب الى القلب » .

ومن سمفونياته الخالدة السمفونيا الخامسة التي تصور الصراع مع القدر . تبتدأ بطرق خفيف على الباب ، فيخاف الانسان من فتحه ، ويدوم الطرق متعاليا مرة بعد مرة والانسان في الداخل يتعلل ويتردد ويحار... ثم يتعالى القرع فيسقط في يد الانسان ويغمره الدوي فيروح في فزع يصيح ويصرخ كانما يريد تغطية القرع وخنقه ، او كانه يحاول ان يشجع نفسه ، وقد تأثر هذه السمفونيا شوبرت فظهر ذلك واضحا في سمفونيته المسماة بالسمفونيا الناقصة او اللحن غير الكامل ، فلسمفونية شوبرت بداية حزينة توحي للسامع بان المؤلف يبحث عن مجهول ، عن شيء مبهم يحسه كل انسان في قرارة نفسه ولكنه لا يستطيع التعبير عنه ....

والسمفونيا السادسة التي تجلو تناقضات الطبيعة والحياة ، والسمفونيا الثالثة التي تصور الانسانية في مثاليتها . وقد نظمها سنة ١٨٠٢ واسماها سمفونيا بونبرت ، ثم عاد فاطلق عليها اسمها الحالي سنة ١٨٠٤ . والسمفونيا التاسعة التي نظمها عام ١٨٢٣ ودعاها «نشيد الفرح » وهي مستوحاة من قصيدة للشاعر « شيللر » . والسمفونيا السابعة وهي في عبادة الرقص . فمن قائل كفاغنر عن صاحبها انه « وصل بها الى مصاف الآلهة » ، وكريشارد ليونارد الناقد المعاصر : « ان هذه السمفونيا اعظم سمفونيا خطتها يد البشر » . وهذه السمفونيا هي بحق اثر يكاد يفوق بقية آثار بيتهوفن روعة وجمالا . الفها في اثناء اشتداد الصمم عليه وكانت احب سمفونياته اليه . وقد كتب رومان رولان عنها : « ليس في اي مكان قوة صراح مرة اكثر مما في السمفونيا السابعة ، انه تبذير مجنون للطاقات البشرية عبثا ، لمجرد التسلية ، تسلية نهر يفيض ويغمر كل شيء » .

تجمع هذه السمفونيا اصواتا جليلة رهيبة واخرى فرحة مرحة ، ويقول الدكتور محمود الحفني ان الاصوات الرهيبة هي عرض لاشباح اسرى الحرب والمرحة في اللحن المعبر عن السلام . « وقد شهد النقاد بروعة هذا الانتقال وبانه شيء فذ في عالم الالحان . فالتوقيف بين لحنين متضاربين متعاكسين احدهما يندفع في قوة مؤلمة ، والآخر في مرح عنيف مسرف الى حد الروع ، يتملك سامعه الهلع لاشراقه وانطلاقه . كما تعود (وحدة الايقاع) التي كانت تصاحب الحركة الاولى تتهاوى مع جو السمفونيا لتطبع اذن السامع على ايقاعها الرتيب (٤) » .

ويقول ايضا الاديب العراقي غانم الدباغ : « وتبدو نزعة التطهير من ادران النفس والخلوص الروحاني في رغبة عارمة ، من ملكوت الارض ودنس الانسانية ، في تصوف رهباني معبر ، جلية واضحة في هذه السمفونيا ، اذا قورنت مع السمفونيات السابقة لها من الاولى حتى السادسة ... » .

« انني باخوس الذي يعصر الخمر اللذيذة للانسانية ،
انا من يهب الانسانية جنون الروح الالهي ! »

... وانت الوتر الذي اذا ذبحته اوترب وعصرت منه حلاوة مهيبة وصوتا رهيبا عظيما ، طاطات راسها الجميل اجلالا وخطر في مقلتيها بريق رهبة ، فعظمت واكبرت وهللت ، وتمنتْ في سرها لو يقوم هذا الوتر الفريد ويمشي في جسم انسان ، لتحبه وتتعبد له وتؤلهه عليها وعلى شبابتها الخالدة وتحرق لعينيه البخور ...

ومن يدري ؟ ؟ لربما فعلت اوترب ...

أنسي لويس الحاج

(٤) غانم الدباغ : السمفوني الراقصة للآلهة . الاديب ، اكتوبر ١٩٥٤ .

عز المعين

*

كم للزمان مساءة دلت على
ان الابي طريد كل زمان
أيسود في الشرق الغبي مكرما
واخو الحجى قلق الوسادة عان
ما في الفوادح والخطوب رزية
كرزية الانسان بالانسان
عز المعين اذا الرياح تحركت
لجماح واقعة ودفع هوان

محمد كامل شعيب العاملي

نداء . . .

*

ياحبيبي أطلَّ وجهك في ليلى ومسَّت أضواؤه جفنيا
فتهاويتُ كالسراج على ناري وقلبي يئنُّ في جنبيا
يا حبيبي تعذَّب الصمت في روحي وجن الحنين في شفتيا
ما علينا اذا حملنا هوانا ووقفنا على الطريق مليا
حيث يغفو على يديك جناح وجناح ينام فوق يديا
ما علينا اذا اعتنقنا طويلا وأضاءت عيناك في عينيا
وعبرنا نهر الهوى ونشرنا في رؤاه شراعنا الذهبيا
ونسينا ظلم الليالي التي مرَّت نسينا شقاءنا الابديا

* * *

يا حبيبي على غصونك قلبي بلبلا ضارعا اليك .. فهيا

القاهرة

محمد فوزي العنتيل

بيت العنكبوت

قصة

بقلم السيدة سلمى الخضراء الجيوسي

●

انا لن انسى باولا ڤينا في يوم من الايام .

لقد قضيت معها في روما اوقات هنيئة وساعات سعيدة تحدثنا فيها عن كل شيء تحت الشمس . وكانت باولا ڤينا امراة متفائلة ضاحكة العينين والقلب وقد زرعت في نفسي الاعتقاد بان الحياة جميلة جذابة تفيض بالتحدي وتستفز الانسان للسعي وراء السعادة الحقة المتفجرة من القلب .

كانت آراؤها في الحياة تبلغ مستوى رفيعا من السمو والمثالية رغم ما كان يعتريها احيانا من نزوات عاطفية تراها عندها يائسة حزينة دامعة العين حتى انه كان يخيل لي احيانا ان آراءها ومسلكها ما كانت الا مجرد جدار تحتمي به من رياح الحياة . ولكني لم اقف منها موقف الناقد ، بل اخذتها ، كما ارادتني هي ان آخذها ، على صورتها اللطيفة الضاحكة في غالب الاحيان .

اني اذكر تماما يوم تقابلنا لاول مرة ، باولا وانا . كان لقاء بسيطا لا كلفة به ولا مراسيم — فقد كنت اتسلم رزمة من ورق العنب كنت قد اوصيت بها خصيصا بائع الخضار الذي نعامله عندما دخلت باولا الحانوت . وقد لفت نظرها الاوراق الخضراء الندية فنظرت الي مليا ثم بادرتني بالحديث « آه ، انت تريدين عمل دولما ؟ » قلت « نعم » . وخرجنا معا بعد دقائق .

قالت : « الدولما لذيذة ، ولم آكلها من عشرين سنة ، من يوم تركت الشرق ، هل انت تركية ؟ »

— بل عربية .

— من الشام ؟

— نعم ، ومن الاردن خاصة — زوجي دبلوماسي .

— جميل .

وسمعتها تسالني سؤال اهل روما التقليدي لكل اجنبي :

— كيف تجدين روما ، انها تعجبك ولاشك ؟

وشعرت بالضجر والوحشة وانا اجيبها :

— انها بلدة كبيرة ومن الصعب ان يتعرف عليها الانسان سريعا .

واجابت كالحالمة :

— الم يقل لك اهل روما انها تعجب الجميع ، فمن يعيش فيها لا يود ان يعيش في اي مكان آخر بعدها ؟

— لقد سبق لي ان سمعت هذه العبارة عدة مرات من قبل ، بالتاكيد!

وتولاني الشعور بالحنق ونفاذ الصبر من هؤلاء الرومانيين ، وغمرتني موجة من الشوق الجارف لبلادي — وكانما ادركت باولا ما يجول في خلدي فاطلقت ضحكة عذبة لطيفة وهي تقول :

— ارى انني اثرت فيك شعورا لعله الحنين لبلادك . ان حديث الرومانيين عن روما خرافة قديمة ، ولكنها خرافة مستحبة . يا سيدتي ، ان العالم كله جميل ، وانني اعرفكم معشر الشرقيين واحبكم واجد بكم حكمة وفلسفة وسحرا لا يقاوم، وان حنينك هذا لهو جزء من كيانك العاطفي الحساس الذي هو كيان جميع الشرقيين — نحن عاطفيون مثلكم ، ولكنكم تمتازون عنا بالوفاء وصدق العاطفةو مثاليتها .

— او يعدمكم الوفاء ؟

— بالحقيقة انا تربيت في الاستانة وقد نشأت شديدة الاخلاص لعلاقاتي جميعها — اما هنا ، فان الحرب والمجاعة قد تركت اثرها الكبير في علاقات الناس بعضهم مع بعض فصارت جميعها مبنية على النفع المادي لا على الكرم الفطري ، وعلى مر الايام ستكتشفين لنفسك كل شيء .

— انك الاولى التي تعترفين بهذا .

— بالطبع ، لاني اشعر بنفسي نصف شرقية . ولكنا نحن الايطاليين شديدو الاعتزاز بايطاليتنا وبلادنا وتقاليدنا وذوقنا ، اكثر منكم ، حتى باطعمتنا . اخبريني ، هل هنالك طبق الذ من السباجتي ؟

— واجبتها ضاحكة :

— بالطبع ، الدولما .

وضحكت معي مليا .

واكتشفت ان بيتها قريب من

بيتنا – ودعوتها للدخول . وفي ذلك اليوم ولدت صداقتنا واخذت باولا تتردد علي كثيرا .

وفي حديثها عن عائلتها علمت انها ام لولدين وان زوجها مدير فندق الفرسان الثلاثة وهو فندق فخم قرب مدينة الفاتيكان . وافهمتني خلال الحديث وبطريقة لبقة ، انه يتقاضى مرتبا كبيرا ويشغل مكانة محترمة بين كبار رجال الاكليروس ورجال السياسة الذين ينزلون في ذلك الفندق . ثم اردفت باسمة « وسوف يكون لزوجي الشرف ان يدعوك وزوجك الى الفندق للعشاء ذات ليلة » .

ولكننا لم نتلق دعوة منهما في يوم من الايام ، ولم اتعرف على زوجها قط وانما لمحته ذات مرة يسير مع ابنها الصغير وكان الطفل يناديه « بابو » . وقد وجدت انه يختلف عنها اختلافا بينا . كانت هي سيدة صغيرة الجسم ، لطيفة تقاطيع الوجه ارستقراطية المظهر شديدة الاناقة . واما السنيور ثيتا فقد كان طويلا ضخما كبير الراس ، ورغم صدارة جلد الغزال الثمين التي كان يلبسها فان منظره ذكرني بعمال المناجم . وكان يسير مطاطىء الراس وعيناه عالقتان بالارض وكأن على كاهله هما لا طاقة له بحمله .

ويوم رايته تذكرت ما قالته لي باولا عن زواجها . كانت تسكن الاستانة مع والديها الايطاليين . وكان والداها شديدي الرغبة في تزويجها من ايطالي بدل الشاب التركي الذي كان يحبها وتبادله الحب . ولما تقدم اليها زوجها الحالي خاطبا وهو في طريقه الى بلدته روما ، اغرياها ، وكانت صغيرة في السابعة عشرة بزواجه والرحيل معه الى ايطاليا المحبوبة . وقد قالت لي :

– لقد زرعوا حب ايطاليا في قلبي، فتزوجت فرناندو لاجل ايطاليا ، ثم عشت فيها ابكي على الاستانة . ان قلب الانسان واحة عجيبة !

ولم يكن الانسان في حاجة الى ذكاء ليدرك ان باولا لم تكن مولعة جدا بزوجها ، ولكنها لم تحدثني عن شعورها نحوه او عن حياتها الخاصة، ولا انا سألتها . وقد كنت دائما اشعر بان هناك امرا تخفيه عني باولا، بل انها حريصة على اخفائه كل الحرص ولكني لم أعتد التدخل في امور الغير فلم أحاول اكتشاف دخائلها .

ولم اكن ازورها الا نادرا . كان بيتها في حي باريولي وهو من ارقى احياء روما وكان بيتا جميلا نظيفا انيقا ينسجم انسجاما كاملا مع ذوقها اللطيف في لباسها . لكنها كانت تفضل ان تزورني حيث تلتقي عندي احيانا بالضيوف الاجانب فتقوم عندها باحب دور اليها وهو دور سيدة المجتمع . كانت تتقن اربع لغات وجميع العادات الرفيعة التي يتطلبها المجتمع الراقي ، ولم الحظ عليها انها اخطات قط في تصرفها – واما اصدقاؤنا فكانوا يأنسون بها ويرتاحون لمحادثتها وبدا لي جليا انها لم تكن مختلطة



بالمجتمع الايطالي كثيرا ، بل كنت انا كثيرا ما اعرفها على افاضل الايطاليين، وقد فسرت ذلك بان انشغال زوجها في الفندق ليل نهار كان يعيقها عن الاندماج في حياة اجتماعية وزيارات متبادلة ، وكان تفسيرها مستساغا معقولا .

لقد كانت يدي اليمنى في كل شيء ، ولانها كانت تكبرني بسنوات فاني كنت استشيرها في كل اموري ومشكلاتي اليومية الصغيرة . وكانت شديدة الاصغاء لي ، شديدة الصبر على الخطب الطويلة التي كنت القيها عليها عن كل امور الحياة ، لا سيما عن البلاد العربية ، وكثيرا ما كنت اكلمها وكانها هي الغرب المستعمر وانا الشرق العربي ، ولكنها لم تستاء مني يوما ، بل كان حماسي كثيرا ما ينتقل اليها ، ولم يكن من الصعب ان اؤثر عليها لتتشيع لآرائي ، وكثيرا ما نظرت اليها خلال احاديثي الطويلة معها عن بؤس اللاجئين في بلادنا وعن النكبة التي حلت بنا لارى الدموع عالقة باهدابها وشفتيها تهتزان قليلا من التأثر والانفعال . وكانت بطبيعتها شديدة البر بكل فقير او بائس يعترض طريقها .

ولكنها في حقيقتها المجردة ،كانت تكره الفقر ، والبؤس ، والحرمان وتنفر من كل ما يمت الى حياة الفاقة بصلة ، رغم برها وعطفها وشفقتها .

ولذلك فانني لم استغرب يوم فاجأتها في احدى الحفلات التي صحبتني اليها ، غادة نبيلة ايطالية عرفت بتعجرفها وتعلقها بطبقة النبلاء واحتقارها للطبقات الشعبية ، وكانها ، اي باولا ، واحدة من تلك الطبقة المترفة . ولما رأتني ارتبها لمعت عيناها وهمست في اذني «باولا تتقن كل شيء» . واجبتها في برود « باولا في الحقيقة لا تحب الاالترف وتتمنى لو تعيش في برجها العاجي» .

وقد تركت هذه العبارة في نفس باولا اثرا عميقا ، فقالت لي ونحن ننصرف : « انني احب هذه الحفلات لانها تنسيني انني لا املك برجا عاجيا ! »

وبقيت متأثرة عدة ايام وهي تحاول اخفاء تأثرها ، ولكنها انفجرت على حين غفلة ذات مساء قائلة : انا اغبطك .

فاجبتها مازحة : حذار حذار ، ان الحسد مركب قبيح لا يؤذي الا صاحبه ، لم تغبطينني ؟

فقالت وهي تنظر كالحالمة الى لفافتها المحترقة : ان حياتك مطمئنة متينة الروابط ، فهي في دورانها كالنجم ، تشرق حينا ، وتغرب حينا ، ولكنها تبقى مشتعلة ثابتة في افقها الخاص — واما حياتي فهي كهذه اللفافة ، اذا ما اكلتها النيران ذابت وحالت رمادا — حياتك مشيدة على الصخر ، وحياتي كبيت العنكبوت ، انت فلانة لنفسك وللناس تعيشين الحياة التي قررتها لنفسك — واما انا فاني وردة اقتلعوها من حديقة ثري وزرعوها في الصحراء فهي ابدا تحن الى تربتها الاولى .

— كم انت طموحة — بالحقيقة انا لا افهمك — ان لك ولديك ، وبيتك و ... زوجك ، وحياتك الرتيبة ، فماذا تريدين اكثر من ذلك ؟

— كنت اريد حياة اخرى ، انت لن تفهمين ابدا فهناك امور كثيرة ...

— كفاك الغازا واطرحي عن وجهك نقاب الحزن الذي خلقته لنفسك بنفسك ان الانسان يحب احيانا ان يحزن نفسه ! اسمعي ، اليوم تعرض « دونا ابدا » ازياءها الربيعية ، وانا مدعوة لمشاهدة العرض ، هل ترافقينني ؟

وقفزت وقد تبدل لونها : « بالطبع، وسأرتدي فرائي » .

وعاد الابتسام الى عينيها !

***

ولولا علبتي الدمشقية المصدفة لما كشفت النقاب يوما عن سر نزوات باولا العاطفية القلقة واحاديثها الغامضة .

كان ذلك في آخر يوم قضيته في روما ، وكان قد صدر الامر بانتقالنا اما باولا فقد جاءت لتوديعي قبل سفري بيومين .

وليت ذكرياتي عن باولا تنتهي عندما رايتها لآخر مرة وقتئذ . ان خيالها في ذلك المساء ما زال منطبعا في ذاكرتي انطباع الصورة الشمسية . لقد كان في عينيها دمعة حزينة مسحتها بلطف وهي تبتسم وتقول « لن احب روما بعدك » وقداضحكني قولها كثيرا وقلت لها : « ان روما ستبقى هي روما ولو تركها نصف سكانها—شوارعها وتماثيلها ونوافيرها ومقاهيها وكنائسهاواجراسها وانغامها، ان لروما طريقتها الخاصة في الحياة، طريقتها التقليدية الفاتنة التيتتسرب الى دم الغريب فلا يجد نفسه ذات صباح الا وقد انتقل اليه حماسها وصار يعيشحياتها وذوقها واسلوبها، فلماذا لن تحبيها انت بعد ان ارحل عنها انا ... انني لا اراني وانا العربية ، الا نشازا في انغامكم ، وسوف تكونين سعيدة ان شاء الله.

وهزت راسها تنكر قولي : « انك قد ملأت ايامي يا عزيزتي وستكون موحشة بعد رحيلك — لقد احببت حياتك التي اتحت لي فرصة التعرف عليها عن كثب بلطفك وكرمك ، وقد ادخلتني في مجتمعك ، شرقية وغربية ، واني مدينة لك بفضل كبير . انكم فاتنون ايها الشرقيون، سيما عندما تأخذون من الغرب ما يحسن اخذه وتحتفظون من شرقيتكم بسحرها وعواطفها العميقة الفياضة باركك الله » !

وكنت ما ازال تحت تأثيرها عندما بدات بحزم امتعتي الخاصة ، ووقع نظري على علبتي المصدفة في مكانها على المنضدة . لقد كانت باولا دائمة الاعجاب بهذه القطعة من الفن الشرقي — وفي غمرة حماسي قررت ان

اعطيها اياها .
وبقي هذا الحماس ملازما لي طيلة اليوم التالي وعند العصر اخذت العلبة وذهبت الى بيتها .
ولكني لم اجد باولا هناك بل وجدت ابنها الصغير يلعب في حديقة الجيران ، فسألته عنها — فاجاب : « ماما ذهبت عند بابو » . فقلت للصغير العزيز مداعبة : « لِمَ لم تذهب معها يا ماريو ؟ » . فاجاب : ماما لا تاخذني ابداء عند بابو ، ان ذلك يزعجه كثيرا .
وعدت ادراجي وقد تملكني غم شديد — لا بد من اعطاء العلبة لباولا العزيزة ، لا بد من ذلك ، لا بد من ذلك — وفي اللحظة التالية وجدتني استقل سيارة اجرة لفندق الفرسان الثلاثة .
وقلت للموظف هناك « اريد السنيورة ڤيتا ، زوجة السنيور فرناندو ڤيتا » .
— انهما لا ينزلان هنا .
— ان السنيور ڤيتا يعمل هنا .
وكان هاتفا خفيا منعني من القول بانه مدير الفندق المسؤول — وذهب الموظف ليسال ثم عاد واسر شيئا للخادم الذي نظر الي مستغربا ثم قال : « من هنا يا سنيورة » .
وسار بي الخادم في منعطفات ضيقة — يمينا شمالا ثم يمينا ثم شمالا الى ان بدات روائح الطعام والطهي تتسرب الى انفي والخادم يسير بي قدما نحو باب كبير في نهاية المنعطف — وكان احساسي افاق وتتدفقت للخادم : «اين تأخذني؟» فاجاب : « الى السنيورة ڤيتا ، لعلك يا سيدتي لا تعرفين ان زوجها هو رئيس الطباخين في الفندق ؟ » وفي تلك اللحظة سمعت صوتها ، كانت تحادث زوجها بطريقة طبيعية بسيطة قائلة : « احضر لنا دجاجتين يا فرناندو — ان ماريو يريد دجاجا — وقال لي الخادم في حنق : « هي هي ، انهم يعيشون احسن من السادة — طعامهم يأخذونه من الفندق ويشترون افضله ورواتبهم كبير وفوق ذلك فالسنيور ڤيتا يتاجر بالخمور » .
— « حقا !؟ » قلتها وانا يكاد يغمى علي ، وكنت قد بدات اتراجع في ذلك المر وكان به خطرا جاثما . وقلت للخادم : « لا بد اني مخطئة بالعنوان » وبان الارتياح على وجه الخادم وهو يقول : « لقد ظننت ان في الامر خطأ » .

***

انني لم اتراجع تكبرا عن باولا — ! انا لم اتكبر عليها ، ولا تنكرت لها ولا تغير اعجابي بمحاسنها . لقد كانت امراة مثقفة حساسة رفيعة المشاعر ، وكانت شخصيتها الملونة الصور الكثيرة المظاهر تفوق غيرها جمالا وعمقا وحنانا وجاذبية ، وانما خشيت عليها ان ترى بيت العنكبوت الذي بنته بجهدها تهب عليه الريح فتنثره هباء . وفهمت عندها سر قلقها في بعض اوقاتها وسر عباراتها الغامضة والمها المكتوم .
انني لا احب الكذب — ولو كان عابرا — فكيف يمكنني اذا ان اقر باولا على حياة الكذب التي عاشتها ؛ ومع ذلك فانني في قرارة نفسي لم اجرمها . لقد كانت على حد تعبيرها « وردة اقتلعوها من حديقة ثري وزرعوها في الصحراء » ولكنها كانت تحب حياة الحديقة ، حياة السادة ، ولم تالف قط حياة البيداء ، حياة زوجة طباخ ، ولا انسجمت بها .
مسكينة باولا — لقد ضربها القدر ضربة قاصمة يوم تزوجت فرناندو وهي بعد في ميعة الصبا الباكر .
وفرناندو ؟ الم يكن مسكينا هو ايضا ؟
اني لليوم لا استطيع ان اقرر من كان يستحق الرثاء والشفقة اكثر ، اهي باولا — التي عاشت والحسرة تاكل قلبها تمثل دورا خلقت لتعيشه على مسرح الحياة الحقيقي لا لتمثله تمثيلا ، ام هو زوجها الذي انتزعته هي من قلب محيطه المتواضع المالوف لديه ، المحبوب الى نفسه ورمته في محيط ارقى منه ، في محيط غريب عن روحه وقلبه وذوقه ، وراحت تربي اولاده تربية اولاد السادة كاتمة عنهم سر مهنة ابيهم المتواضعة ؟
من يستحق الرثاء اكثر ؟
واني إذ اكتب وتتمثل لي باولا بعينيها الضاحكتين المعبرتين، وملابسها الانيقة من القبعة الجميلة الى القفازين اللطيفين والحقيبة الثمينة الى الحذاء الدقيق والجوارب الشفافة لا يسعني ان امحو من ذهني ولا من قلبي منظر زوجها بجسمه الضخم وراسه الكبير الذي يذكرني بعمال المناجم وهو يسير في حي باريولي ، حي السادة والمترفين ، مطاطىء الراس وعيناه عالقتان بالارض وكأن على كاهله هما لا طاقة له بحمله !

بغداد سلمى الخضراء الجيوسي

من ابناء الليل

✳

ـ سيدتي !..
ـ من ذا على الباب ؟ عكرَّ صفوي صوته النابي
سعاله القاسي وأناته علقت السهد بأهدابي
من ذا هنا ؟ من ذاوكف الدجى قد أسدل الستر على بابي؟
ـ سيدتي لست سوى بائس مزقه الجوع بأنياب..
سيدتي .. اني بقايا فتى كان له أمس يسليه
لكنه اليوم أخو علة سميره داء يقاسيه
جاء الى بابك يبغي يدا تنقذه مما يعانيه
سيدتي..ان لم تجودي له «بالعيش» فالموت سيطويه

بغداد — حسن البياتي

ضباب

✳

ضباب ومن خلف هذا الضباب ، ضباب
وحشرجة للضياء هناك وراء العباب
وهمهمة أغرقت في الماء ولا من مآب
وعصر ذبيح يرفرف فوق دماه اكتئاب
وآنية حطمت ثم غطى عليها التراب
وروح تحدق مرتاعة في سطور الكتاب
ودمدمة بالسماء تخبط في كل باب
وكفر يقهقه ، يضحك حتى يسيل اللعاب
وعين تنوح كأن مدامعها من لهاب
وموكب مرتعشين يسيرون دون ثياب
عناصر أكوانهم تتهادى ، ويفنى الركاب
وأعمدة الراحلين تردد ، أين المصاب
وكفان تصطفقان ، ويخفق صوت الرغاب
ويلتبس الكون حتى يغطي الضباب الضباب

الاسكندرية — احمد محمود عرفه
من رابطة الادب الحديث

بقلم هنري ودانا توماس

شعراء خالدون : صموئيل كوليردج

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°°

كان صموئيل تايلور كوليردج [١٧٧٢-١٨٣٤] طفلا ذا تصور عليل. فلعب وحيدا ، ومثّل الكتب التي قراها ، وتخيل نفسه الملك ارثر او هاملت او روبنسون كروسو ، او احد « المدافعين السبعة عن المسيحية » . ومما عرف به قلقه وعاطفيته ، وهذا ما حدا بغيره من الصبيان على كراهته ، وما جعل العجائز الثرثارات يعجبن به .

ولما توفي ، ابوه ، وكان راعي كنيسة « اوتري للقديسة ماري » على دقون ، ارسل الى لندن ليعيش مع عمه ، وهنا دخل مدرسة «كراست» وهي مدرسة خيرية مشهورة «تبناها العلماء للفقراء» . كان النظام شديدا ، والتعليم دقيقا ، والطعام ضئيلا تافها . ومما قاله كوليردج بهذا الخصوص « كانوا يقدمون لنا صباحا كسرة صغيرة من الخبز وقليلا من الجعة السيئة . اما مساء فكانوا يعطونا كسرة اكبر من الخبز ، وقطعة من الجبن . وباستثناء ايام الاربعاء ، لم املأ معدتي قط . صحيح اننا رطبنا شهيتنا ، التي لم تشبع ، ولكننا مع هذا لم نحظ بشيء من الخضار » .

كان الطلاب يعطون بين فترة واخرى فرصة يوم للراحة . فهؤلاء الذين كانت عندهم اسر واصدقاء في المدينة ، كانوا يسرون بهذه الفرصة ، اما الذين حرموا من نعمة الاسرة والاصدقاء ، فقد كانوا يتجرعون عذاب مثل هذا اليوم ، حين تكون ابواب المدرسة موصدة من الصباح حتى غروب الشمس . وفي مثل هذه الايام ترك كوليردج لحظه . فحين كان الطقس ملائما ، كان يقضي الساعات الطوال سابحا في «النهر الجديد» وممتدا على حوافيه في الشمس . ولكن الضباب عندما يغطي لندن ، ويأخذ الزمهرير بخناق الهواء ، يضطر الصبي الى التسكع في الشوارع القذرة ، والوقوف وحيدا في السوق بانتظار انقضاء الساعات . وفي هذا الفترات شعر بفقدان والده بعمق .

واياً ما كان الامر ، ظل عالي النفس . لانه عاش في عالم من الخيال ، بعيدا كل البعد عن قبضة الواقع . وفي ذات يوم ، كان ماشيا في احد الشوارع بلندن فتصور نفسه (ليندر) سبحا في هيليزبونت . خبط الهواء بذراعيه فمس سترة احد المارة . مما جعل الرجل يصرخ قائلا : «النجدة ، النجدة ، لقد نشلت » دمعت عيون كوليردج ، حين شرح حاله ، بانه لم يكن نشالا بل شاعرا صغيرا . ولما كان الرجل يمتلك حاسة هزلية ، ورغبة في الكتب ، شاء ان يتقدم الى كوليردج بقسيمة اشتراك في مكتبة دوارة في جيبايد .

ومن ذلك الحين بدأ كوليردج يقرأ مجلدين يوميا . ازدرد كتاب نجارد (المعجم الطبيعي) ـ باللاتينية ، وعزم على التتلمذ عند احد الجراحين . ولكنه بعدئذ عاد الى مؤلفات ڤولتير ، ثم نقل اتجاه ولعه من الطب الى الميتافيزيا فتاكد من انه يريد ان يكون فيلسوفا ملحدا . وفي ذات يوم اخبره مدير مدرسته بانه مصمم على ارساله الى كمبردج ، حيث يراد من كوليردج دراسة اللاهوت قصد ان يرسم قسا . ولكن الصبي هز رأسه ، وتجاسر ان يقول باستحياء لا ارجوك ، ياسيدي ، انا ملحد » .

كان في السابعة عشرة يومئذ ، وعلى كل فان مديره جلده جلدا اطار منه الحاده . ومرة اخرى اصغى الى صوت الهة الشعر ، فصمم ان يكرس حياته لها . وفي الثامنة عشرة دخل جامعة كمبردج ، لا لشيء الا ليمارس ضربا من ضروب شكوكه وقلقه . كان مظهره ، كذهنه صورة من المتناقضات . عيناه الواسعتان اللامعتان وحاجباه المتاملان ، تتناقض مع خديه المترهلين وشفتيه الغليظتين . ولكن هذا كله كان على وفاق مع الروح القلقة التي قلبت مظهر الطلاب الاوروبيين وافكارهم . ذلك بان الثورة الفرنسية لم يمض على اندلاعها الا قليلا . فجعل اساتذة كمبردج ووعاظها همهم في ضبط طلابهم «المجانين» .

ومن ذلك انهم اجروا محاكمة تلميذ ، لاجتراحه (جريمة) نشر تعاليم تدعو الى الوحدانية (في الدين) وفي اثناء ملاحظات الدفاع سمع احد الطلاب وهو يصفق بصوت عال . فانقض في الحال احد المحامين الكنسيين على طالب كان يجلس بجانبه متهما اياه بالضجة . فقال الطالب بحزن « آه يا سيدي لو كانت لدي قوة » بعد ان رفع يده المضعضعة المتالمة . وبعد انقضاء المحاكمة ، اعترف كوليردج بفعلته قائلا « انا الذي صفقت » فنظر المحامي الكنسي الى كوليردج مبتسما بتأفف وقال «كنت على علم بالامر . ولقد نجوت بعسر » .

كانت حياته في كمبردج ، سلسلة من « الهزائم

العسيرة » فحين تسلم غرفته الجامعية ، زاره احد المنجدين ليجهزه بالاثاث ، فسأله المنجد قائلا : « ماذا يعجبك من الاثاث ؟ » فما كان من هذا الشاب ، غير الدنيوي ، الا ان اعتقد بان المنجد انما يقدم له خدمة جامعية من غير اجر ، مما حدا به ان يجيب بسرور « كما تحب ، يا سيدي » . وهكذا صرف مما لا يملك بكل اسراف وتبذير .

لم يعن بشيء من اموره قط . ومن ذلك انه هرب من كمبردج في سنته الثانية في الجامعة وتجند في فصيل (دراكون) للخيالة ، مسجلا لنفسه اسما جديدا هو ، سيلاس تيتوس كومبربا ج. ولم ينقض طويل وقت على ذلك حتى تبين انه فارس ضعيف المهارة ، اذ لم يتمكن من الحفاظ على سرجه باستقامة ولم يسعه الابقاء على نظافة جواده ولم يراقب معداته ، على حسب الاصول ، فكانت بندقيته صدئة . ولكنه مع هذا ، كان محبوبا كثيرا بين اقرانه ، لقصصه الرائعة واشعاره الارتجالية . ونباهته هذه هي التي وضعت حدا لمسلكه العسكري .

وذات يوم حين كان ينظف حصانه في الاسطبل ، اخذ قطعة من الطباشير ، وخط كتابة لاتينية على الحائط . مر احد الضباط فعثر مصادفة على الكتابة فسر لوجود مثقف في صفوف جنوده . ومن اجل ذلك عين كوليردج مرافقا له . ومن ذلك الوقت اصبح من واجب الجندي الشاعر الشاب ، ان يمشي خلف ضابطه في الشوارع . وفي ذات مرة ، تعرف عليه تلميذ من زملائه ، فاوصل ذلك الخبر الى الجامعة . وفي خلال ايام قلائل وجد كوليردج نفسه محاطا بجدران المدرسة وبكتبه .

وفي غضون هذه الايام اللاهبة في كمبردج ، لقي كوليردج روبرت ساوذي ، وقد كان الاخير يكبره بسنتين . طرد ساوذي من وستمنستر من اجل مقالة ضد الجلد ، ثم رفض قبوله في « كلية كرايست » لهرطقته اللاهوتية وسياسته الجمهورية . وايا ما كان الامر ، فان كلية باليول اظهرت قسطا اعظم من التسامح فسجل فيها تلميذا . ولكنه بعد امتحان القبول مباشرة ، خلق ضجة لظهوره بشعره المستعار غير المزين ، وهذا كان منه سلاطة لم يسمع بمثلها بين تخوم اوكسفورد المقدسة .

وفي زيارة لاكسفورد تعرف كوليردج بساوذي اول مرة . وبعد ذلك بمدة وجيزة قدم ساوذي كوليردج الى خطيبته . وفي الحال (اصاب سهم كيوبيد) قلبه فتعلق باختها .

كانت الانستان فركر ابنتي صناعي ، مات مفلسا ، وقد عرفتا بتكلفهما واخلاصهما وفقرهما ، ولكنهما تحديا الشاعرين بثلاثة امور . رغبة شهمة ، لتحرير نفسيهما من تصنعهما ، وفقرهما ، وصلواتهما . انتقى ساوذي ، الحاد الطبع ، اديث التي هي اصغر الاختين ، واشدهما عذابا ، فمضت قدما لجر ساوذي الى طريقها «فحولته من شاعر الى سيد رفيع الشأن » . اما كوليردج فقد اخذ على نفسه ، السيطرة على قلب وعقل الاخت الاكثر ليونة ودماثة ، وكانت هذه تدعى سارا ، وهي فتاة جذابة في الثالثة والعشرين من عمرها .

والان وقد وجد الشاعران خطيبتيهما ، اصبح لزاما عليهما ان يهتما بنقودهما . وفي سوء تصرف شاعري ، عزما على نيل غرضهما بوسيلة حسباها يسيرة هينة . ومؤداها ، انهما يمخران على ظهر سفينة الى اميركا ، ويشتريان قطعة من الارض الجرداء ، بعيدا عن خبث المجتمع ، من غير ان تعرقل اعمالهما حكومات وضرائب وحروب . ثم انهما سيبنيان جمهورية ، على شاكلة « جمهورية افلاطون » — من اجل النوع الانساني برمته .

ولكن قبل كل شيء كانت ثمة «مسألة تافهة» مسألة استئجار سفينة لتنقلهم الى اميركا . ثم عليهما بعد ذلك توفير النقود لشراء قطعة الارض ، والادوات والمواد اللازمة لزراعة هذه الارض . فظنا ان مقدار الفي باوند كاف لجعل كل شيء « على احسن ما يرام » وبهذا الحلم الذي ساور نفسيهما ، شرعا في تجنيد الرجال وتجهيز المال من اجل اليوتوبيا الامريكية التي كانت مطمح املهما .

حصلا على عدد كبير من الرجال ، لان كل شاب مفلس كان في اشد الشوق لنيل «قطعة صغيرة من الفردوس ». على نفقة غيره من الناس . ولكن هؤلاء الناس لم يعد لهم وجود . اما ساوذي فقد اعتمد على عمة غنية ، او بالحري عول على خادمها الملون ، شادراخ لحل المشكلة . امن شادراخ بدعوتهم الطوبائية هذه فوعدهم ان يتوسط لدى السيدة العجوز من اجل ساوذي . ولكن السيدة العجوز لما علمت بالمشروع طردت كلا من ساوذي وخادمها من البيت وسط انهمار الامطار . وبتأثير السخاء الكريم الذي أبداه واحد من الاصدقاء ، ممن لا يسعه تقديم اي شيء ، اقول بهذا التأثير ، كتب ساوذي الى كوليردج قائلا « سيذهب معنا شاد . وهو اخي ! »

ثم كان امل واحد للحصول على التبرعات الضرورية. ذلك بان كوليردج كان يطبع الجزء الاول من اشعاره . فظن ان هذا الكتاب سيحملهم جميعا الى ارض الميعاد . ولما نشر الكتاب حصل كوليردج منه ما يقارب ٧٥ جنيها ، ومع ان هذا الايراد بعثر حلمه العظيم، الا انه وفى بحاجاته الشخصية، وهذا ما حمله على ترك الكلية ، والاقتران بساره فركر ، واخذدار في برستول . اما ساوذي ، فقد تزوج اخت ساره ، وقبل بشغل قدمه له عمه الغني ، ثم استقر في لشبونه . واما اليوتوبيا فظلت بين ايدي الهنود الامريكيين.

***

اختار كوليردج رسم مسلك حياته بقلمه . وبمساعدة عدد من المشاركات اصدر مجلة سياسية تحت عنوان « الرقيب » وكرسها للمبدأ الآتي « من اجل ان يعرف الجميع الحق ، كي يحررنا الحق . » ولكن حياة« الرقيب »

كانت قصيرة الامد . لان كوليردج خاب في ادراك المطلب الاول في الصحافة الناجحة ــ اعني تقديم ما يريده الجمهور لا ما يرغبه المحرر . ومن ذلك ان احد المشاركين تشكى من قلة نقد الكتب ، مما لا يفي بدراهمه ؛ وآخر قال بان ابنه افسد بما يكتبه المحرر في السياسة ؛ ثم جاء غيره فقال بان زوجته اصابها الضجر من اشعار المحرر . وعلى هذا ، لم يصدر من « الرقيب » غير عشرة اعداد حتى اقفلت المجلة عائدة الى عالم النسيان .

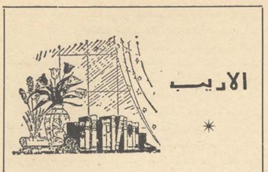
وفي سعيه من اجل « الخبز والجبن » بدا الشاعر بملاطفة فكرة الوعظ ، على طريقة الموخدين ، ومن اجل تجربة مهارته الخطابية ، القى موعظة على سبعة عشر شخصا في مدينة بات . لم يكد يشرع في الموعظة حتى تسلل احد السامعين هاربا من المعبد ، ثم اقتفى غيره اثره ، ثم تبعهما سائر المستمعين ، ولما انتهت الموعظة ، لم يبق من المستمعين غير سيدة عجوز ، كانت تغط في نومها .

وفي الوقت نفسه انجبت له زوجته ابنا . فازدادت مشكلة الايجار والمصاريف حدة وشدة . ولكن حسن الحظ تداركه ، اذ وجد له زميله الشاعر ، توماس بودل ، بيتا مريحا في سومرست شاير بايجار يسير هو سبعة باونات في السنة . ثم جاء « ملاك مقنع » آخر لمد يد العون اليه ، وكان هذا سيدا رفيع الجاه من بيرمنفهام سحرته مقالات كوليردج واشعاره ، وهذا ما حمله على ان يرسل ابنه اليه ، ليتتلمذ على يديه باجر شهري ملائم . انتهز كوليردج الفرصتين باعظم الحماسة . لقد تحرر من المشكلات المالية واصبح في وسعه الاعلان عن احلامه الشاعرية .

وعلى بعد ثلاثة اميال من داره في سومرستشاير ، كان يسكن حالم آخر هو ــ وليم وردزورث ــ في ضيعة اولفوكسون . كان الشاعران مترافقين دائما . لقد طوفا معا في الريف ، وتناقشا في « آراء واحلام » كل منهما و«نظرا الى جوهر الاشياء وروحها . » . كانا يستمران في جولتهما الفريدة احيانا الى وقت متأخر من الليل . وبنتيجة هذه الجولات انتشرت اشاعات غريبة في القرى المجاورة . فهمس الناس بان الشاعرين مهربان يتسلمان الشحنات من الميناء . واقسم بعض الناس بانهما كانا يقترفان عملا غير شرعي . وحتى ان قليلين اعتقدوا بانهما كانا جاسوسين يتآمران ضد الحكومة .

ثم لم يلبث احد المتعنتين المشغولين بهذه الامور حتى ذهب في فزع الى وزارة الداخلية البريطانية وطلب منها ان ترسل عميلا سريا لمراقبة هذين الرجلين . ولمدة ثلاثة اسابيع ، اقتفى العميل اثر وردزورث وكوليردج ، اخفى هذا الجاسوس نفسه وراء سد على ساحل البحر ، وعلى مقربة من المكان الذي كان الشاعران يتدارسان فيه سبينوزا [لفظا اسم الفيلسوف Spy-noza] فلما سمع الجاسوس كلمة Spy في مناقشتهم تأكد خططهم الاثيمة . الم يتجولا على ساحل القنال وفي ايديهما الكتب والاوراق ؟

الاديب



✷

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

✷

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✷

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

✷

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

الم يرسما خرائط ومخططات للريف ؟

ثم استدعى الجاسوس بعض الشهود ، فقالوا « يـا سيد ارجوك ، لقد سمعنا ... ولكنا لا نريد ان نقول شرا عن اي كان — ولكن ... » فصرخ العميل السري قائلا « تكلموا ! لا تخافوا ! لا تخافوا . انكم بعملكم هذا تخدمون ملككم والبلاد . ماذا سمعتم ؟ » فرد على ذلك احد الشهود « يقول الناس بان هذين شاعران ، وانهما سيطبعان اسـم سومرسيتشاير في الكتب . » .

ان « الثوريين الخطرين » لم يتآمرا على شيء اقل من وضع كتاب من الاشعار ! لقد عملا معا على وضع خطة من اجل مجلدمن الاشعار لتحديالمقاييس الشعرية في انكلترا. وضع درايدن وبوب قاعدة لاتباع الكلاسيكيات القديمة . ذهب درايدن الى ان الشعر ينبغي له تناول القضايا الرفيعة، على ان يضفى عليها رداء من الزركشة اللفظية . اما بوب فقد اشار الى ان الشعر ، كل الشعر ، سواء اكان جديا ام هزليا لا بد له من شرارة الجواهر البراقة الاصطناعية . الا ان وردزورث اعتقد بان خير الشعر ، جميع الشعر ، كان تعبيرا يسير المآخذ ، لافكار الناس البسطاء في اخلاصها ، وصورة لحياتهم اللطيفـة ، فمعظـم الحكايات الشعبيـة الساذجة غير الفنية هي احسن الشعر فنا .

وبينا انصاع كوليردج لنظرية وردزورث ، اصر على ان الشعر له وظيفة اخرى ، فبالاضافة الى بساطته ينبغي له ان يكون ساحريا . فلا بد للشاعر ان يتغلغل في صهاريج لاشعاره العميقة ، ليفجر انهار خياله البلورية التي تعكس منظر العالم السامي والعالم الطبيعي على حد سواء ، فيبدو خرير هذه الانهار في ضياء شمس العالم . ولاجل تصوير هذه الوظيفة « الرئيسية » من وظائف ، الهة الشعر ، عزم كوليردج على كتابة قصيدة باسلوب الحكايات القديمة . نظر مليا الى مياه قناة برستول ، وذلك من ميناء أثري . ان مشهد حكايته سيكون البحر—رمز زيارة الروح الانسانية وغروبها . اما بطله فسيكون ملاحا قديما ، انجرف في تيار وسط البحر ، في سفينة يسكنها شيطان ، حكم على هـذا الملاح بعذاب مريع ، لانه قتل احد المخلوقات الحية .

ولما ظهرت « حكاية النوتي القديم » ذهل كثير مـن الناس . اذ ان في هذا الكتاب خيالا اختمر في ذهن غير اعتيادي . فكان شبه رفيف ظلال زاهية ، نشرتها قدور الساحرات على ولبور كسناخت . وبهذا الصدد علق احد النقاد بقوله « هذه القصيدة كابوس من الاحلام ، لا يعرفه غير انسان غشيته غيبوبة ، فاصاب البرد دمه وتقطر العرق من اطرافه بصمت . » ثم ان عددا من القراء وجد صعوبة في فهم هذه القصيدة المغربة في الشذوذ . وفي احد اعداد « المورننغ بوست » وجه بعضهم الى المؤلف هـــذه المقطوعة :

« لا بد ان تكون قصيدتك خالدة ، فهي لن تخيب في مسعاها ، يا سيدي ! »

« لانها غير مفهومة ، وكيف تكون غير ذلك اذ لا راس ولا ذيل ؟ »

قال احد اصدقاء كوليردج متسائلا « يا للشيطان ومن ارسل هذا ؟ » فرد كوليردج على ذلك بقوله : « انا الذي فعلت هذا . »

★★★

ومن اجل ذلك لم يدهش الناس ، حين علموا بـان شاعرا ، بمثل هذه الرؤى الغريبة ، يستكين لعادة الافيون. عانى من الروماتزم حياته كلها . فقتل المجلات الطبية بحثا عن دواء ليخفف المه . وذات يوم وجد الدواء « الناجـع ». كان هذا الدواء بمثابة معجزة ، اذ تلاشى الالم في الحال . حمل الافيون معه اينما ذهب ، بكل براءة في اول الامر . لقد غدا حيا مرة اخرى . فليس ما يسمو على فوزه . ذلك بان الافيون لم يجلب له نعمة الراحة حسب ، بل احلامـا مجيدة ايضا . وفي احدى المناسبات نام في كرسيه بتأثير المخدر . وحين تيقظ من نومه بعد ثلاث ساعات اسرع الى القلم وكتب ما رآه في منامه . فكـــان ثمرة ذلك قصر « قبلاي خان ! » .

« امر قبلاي خان ان تبنى قبة رفيعة من قبـــاب السرور في زانادو »

« حيث يجري ، النهر المقدس ، نهر الف »

« يجري خلال الكهوف التي لا تقاس ، ليصب في بحر لا شمس فيه ... »

ثم استطرد في وصف الجنائن والينابيع والاشجـار التي تحمل العطر ، والغابات القديمة . جاءه المنظر والالوان، والكلمات نفسها تماما مثل ما رآها في حلمه . ثم اضطر فجاة الى ترك قلمه . ولما عاد الى غرفة المطالعة ، بعــد ساعة من حديث ، تلاشت الفتنة ونسي السحر ، وذهب الحلم . نظر الى الجزء اليسير من قصيدته العظيمة بحزن، تلك القصيدة التي كانت مدار حلمه . ذلك بان العـــالم سيفقد سائرها الى الابد . ومع هذا ، فربما استعاد الفتنة بوسيلة بسيطة ...

ومن اجل ذلك رجع الى افيونه . وكفاوست ، كان على اشد الشوق ، لاكتشاف مظان التجربة المحرمـة . وكفاوست تاهب ليقدم روحه قربانا لذلك . ترك اسرتـه واصدقاءه ومخر في زورق الى جزيرة مالطا ، بعد ان اخبرهم جميعا بان السفرة في البحر المتوسط مهمةبالنسبة الى صحته . في حين ان ما اراده كان الخلاص من كـل ضغط عليه ، كي يترك وحيدا مع مخدره . ولمدة واصـل مراسلة اسرته ، ثم بتر حبل الاتصال هذا . كيف يمكنـه ان يكتب باسلوبه المحبب ، عزيزتي ساره ، مخاطبا بذلـك زوجته ، او نعمتي هارتلي ، متحدثا الى ابنه ، وهو يدرك مدى الاعماق التي كان ينحدر اليها ؟ فلو علموا الحقيقة ، اتراهم لا ينفرون منه باشمئزاز ؟ ولمدة سنتين ظل نائيـا عن انكلترا ، تاركا كل الرسائل التي وردت اليه من غير

اجوبـة .

***

وفي الختام تمكن اصدقاؤه من اقناعه للرجوع الى انكلترا . عاد عديله ، ساوذي ، الى الهة شعره ، فغدا شاعرا شعبيا يشار اليه بالبنان . اما وردزورث فقد كان في اوج عبقريته المبدعة . هذان الرفيقان القديمان كانا يعملان بكل ما وسعهما من حول . انشداه قصائدهما ، من اول بريـق لالهامهما . ولكن قلمه كان عاطلا ، لان مشاعره الداخلية اصابها التمزيق . انه لا يسعه ان يحيا هكذا ـ مثارا لشفقة اصدقائه وموضعا لازدراء اسرته .

فشعر انه لم يبق له ما يعمله سوى شيء واحد ، هو تخليص اسرته من ثقل وجوده . فر الى لندن وسكن في غرفة فوق مطبعة ، ليغرق اصوات شفقته على نفسـه في غمرة الضجة التي تثيرها آلات الطباعة ، فعذابه مس روحه مسا شديدا . وقد عمل من حين الى حين في الصحافة لاعالة نفسـه . ثم لما بدت حياته في اظلم مراحلها ، جـاءته نعمة مفاجئة من حسن الحظ . فقد حصل له ، غضو متنفذ في (المعهد الملكي) على وظيفة لالقاء المحاضرات في الفنون الجميلة . وفي هذه المرة احرز نجاحا فوريا في محاضراته . ومن ذلك ان الشوارع المؤدية الى قاعة المحاضرات كانت مكتظة بالعربات التي تحمل مثقفي لنـــــدن ، جاءوا لا لينصتوا الى الخطب الرائعة حسب بل لينظروا باعجاب الى الخطيب الشاذ .

كان كوليردج في هذا الحين حقا مثارا للدهشة . . عينان تشعان بالالهام ، وشفتان سوداوان من تأثير الحمى ، ويده مرتجفة كلما قاربت قدح الماء . نظر المشاهدون باعجـاب مرعب الى هذا الشاعر العجوز قبل اوانه ، وهو لما يزل في منتصف العقد الثالث ، ثم تمعنوا في شعره الفضي ، وفي فكيه اللذين يكاد الشلل يوقف حركتهما . علق احـــد السامعين على مشهده بقوله : « انه يبدو عقليا رجلا عجوزا بين جماعة من الاطفال ؛ ولكن احسن تعليـــق على قوته الاخلاقية ــ لا تتعدى الصمت . » ثم قال غيره « انه بين الانقاض » .

ومع هذا ، فان الاله البالي قام بمحاولة للعودة الـى منصبه . رجع الى اسرته ، ولمدة بدا وكانه اصاب نصيبـا من السـلام . كتب في ملاحظاته قائلا : « تمكنت من انقاص وجبة الافيون الى السدس ، ممـــا كنت اتناوله سابقا ، وصحتي بوجه العموم ، وفعاليتي العقلية تعاظمتا عما كنت اعرف من عدة سنين . » ظل في البيت خمسة اشهر ، ثم فر مرة اخرى الى لندن من غير ان يترك كلمة .

***

جاء الى ادارة جريدة « كوريير » وطلب باتضـــاع وظيفة محرر في الجريدة . غير ان اصدقاءه القدماء الذين كانوا سعداء لو سمح لهم بمسح الغبار من حذائه ، انقلبوا الان وتفضلوا عليه بصندوق للاعانة وعدوه كاحد الباعين الجوالين الصغار . ثم كانت لفتة اخرى من الحظ السعيد ، اذ اكتشف اللورد بايرون « دراما » كتبها كوليردج من عدة سنوات . مثلت المسرحية فنالت نجاحا كبيرا . مما افاض عليه سيلا من الدعوات لالقاء المحاضرات . ولكن مرضه تدخل في الامر ، اذ عاد عليه الروماتزم القديم المؤلم . كان الافيون نجدة مباركة لمثل هذا العذاب !

ومع هذا ، صمم في هذا الحين ، ان يتخلص مـــن العادة ، مهما اشتد العذاب . وهذا ما حمله على اشغـال شخص لاقتفاء أثره في جميع الاوقات ، حتى يمنعه بالقوة ان اقتضى الامر ، من دخول صيدلية ، كلما شعر بدافع لا يقاوم لشراء الافيون . الا ان ليالي السهر التي اعقبت ذلك ـ تلك الساعات المظلمة من العذاب الذي لا ينقطع ـ كادت تسرق منه عقله . وفي الختام وضع نفسه تحت عناية الدكتور جلمان ، وهو طبيب صديق . ثم استقر في بيت هذا الرجل بقية حياته . وفي غضون الجزء الكبير من هذه المرحلة ، عاش (الشاعر) في حالة تكاد تكون سباتا تاما ، الى حد انه عجز عن فتح الرسائل التي كان يتسلمها من اسرته .

ومن حين الى حين كان يهتز فيرفع نفسه من رقاده العميق ، فيعيد على اسماع اصدقائه ذكريات عظمتـــــه الماضية . وفي هذه اللحظات بدا رائعا في عظمته المحطمة ، كانقاض معبد قديم ، نورته اشعة شمس غاربة . « فليس من احد سمعه يمكنه ان ينساه . » ومع هذا ، فان قليلين يسعهم تفسير ما يظهر على وجهه النحيف المتهدل ، وصوته البديع الكئيب مما اثر فيهم اعمق التأثير .

ربما كانت هذه المأساة مأساة عينيه « ذلك بان الالم المرتبك الذي يظهر فيهما ، وكانه ضرب من الدهش . » يثير الناس . وربما كان انسجام الكلمات وايقاعها ، همـــا اللذان سحرا هؤلاء ، وارعباهما وسمراهما — موسيقى كانت تعزف في كاتدرائية عظيمة هي كاتدرائية عقله الذي ينهار بتأثير عاصفة من الانحلال المرعب .

وغالبا ما تعذر على اي شخص ان يكتب شيئا مهمـــا من محادثات كوليردج ، او يتذكر قسطا منها . فليس مـــن اسلوب في كلامه كما كان الحال في حياته . مس التفصيلات المتناقضة المدهشة بسرعة شديدة ، بحيث منع الاذهـــان من التتبع والملاحقة . فقد قفز من موضوع الى آخر حتى ضاع في غابة من الميتافيزيقا ، مما جعل سامعيه يغلبـــون على امرهم بتأثير الشعور الشجي ، شعور القوة المتلاشية .

وذات مرة ، بعد ان تكلم كوليردج عدة ساعات باسلوبه المتناقض الرائع ، ترك وردزورث وصديق آخر البيت ومشيا في الشارع والصمت مطبق عليهما . وفي نهاية التطواف ، التفت رفيق وردزورث اليه وقال : « تأثرت كثيرا بخطابه . والحق انا منذهل من ثورة معارفه الهائلة . » ثم استطرد قائلا باستيحاء « ولكنني لم افهم القسم الاخير مما قال . » فاجاب وردزورث « انا لم افهم الخطاب كله » فأعترف الاخر بقوله « ولا انا . » .

★★★

تمتع كوليردج بفترة اخيرة من الصفاء الذهني ، بعد فترة يسيرة من مكثه في بيت الدكتور جلمان . فنشر (كرستابل) وهي قصيدة من الخيالات الحاذقة والاصوات البارعة ، كان قد كتبها في سني فعاليته العقلية السليمة . الا ان آذان النقاد لم تتعود على الموسيقى الجديدة . فحكموا عليها حكما جائرا جاء فيه « انها قطعة مشهورة من الصلافة، التي اجرمت المطابع في اذاعتها على الناس . »

وفي السنة التي تلت السنة ، نشر كوليردج سجـلا من احاديث المائدة وبعض الكتابات العفوية — وكل ذلك في نسيج عار من السيرة الشخصية ، سماها Biographia Litera وهذا الكنز من النقد في الحياة والادب والفلسفة والفن ، استقبحه النقاد وعدوه « هراء وحشيا لمجنون » . ثـــم اصدر كوليردج مجموعة من اشعاره ، فلقيت هذه المجموعة عاصفة من الاستهجان ايضا . حتى قيل « ان شعـــر كوليردج ليس سوى اعلان سقيم عن انانيته المجنونة . » انتهى جهاده في الشعر نهاية خائبة تماما .

افلس كوليردج ، ثم ان ابنه هارتلي في حاجة الى اعانة مالية يسيرة ليظل في اوكسفورد . وهذا ما دفعه الى ان يرتاد دور الصحف بحثا عن عمل ، كأي كاتب بسيط، تجده يفعل ذلك وبيده قبعته ، متوسلا بهذا وذاك . ثم انه قبل بالانحدار الى تنقيح النصوص المدرسية وكتابة المواعظ للقسس الكسالى . كتب يوما في احد ايام السعادة قائلا « ان من يعيش عبثا فكرة مؤلمة لكل انسان ! » والان وقد بلغ الستين ادرك المعنى الكامل لهذه الكلمات ، وقد عبر عن ماساة خيبته في احدى قصائده المتاخرة :

« تبدو الطبيعة باسرها كانها تعمل . فالبزاق تترك مكانها »
« والنحل يتحرك — والطير تتاهب للانطلاق — »
« والشتاء يرقدفي الجو الفسيح، وعلى وجهه خمار منحلم الربيع!»
« وانا الوحيد الذي لا يعرف الحركة ، ولا يصنع عسلا ... ولا يبني ولا يغني »

كان الزمان يفر من قبضته وكانت فترات قليلة تضيء معنى وجوده . ومع هذا فهذه هي اللحظات الثمينة من حياته . واتته لحظة من هذه يوما حين مشى في حارة بالقرب من « هايكيت » . تقدم منه شاب « متهـــدل ، ضعيف ، زريء الهندام » وقال له « اريد ان ابقى على ذكرى مصافحة يدك ، يا مستر كوليردج » بحث كوليردج عن المعجب المندفع . فقيل له « ان هذا الشاب هو جون كيتس » .

ثم كانت وهلة ذهبية اخرى ، اذ تسلم رسالة مـــن شيلي الذي لم يلقه ومما جاء فيها « ان كوليردج هو الانسان الوحيد الحي ان يذيب الشكوك والهواجس التي تســـاور المسائل الخالدة العظيمة التي تعصف بذهني .» وكان هذا من « شخص طوف في الظلام ، باحثا عن النور » وقـــد نطق بذلك قبل ان يلاقي حتفه بمدة وجيزة . تبســـم كوليردج من اعماق قلبه في مثل هذه المناسبات .

من كان اذن هؤلاء الذين نصبوا انفسهم محكمين في الاخلاق الذين نظروا عليه من مقاصير الشائعات وحزنـــوا بسبب « خيبة » حياته ؟ ماذا لو كان قد كتب شعرا تافها يستدر الشفقة ؟ ماذا لو هجر اشادة تمثال عظيم في ذكرى عبقريته ؟ ماذا لو ادخر حصاد رجل اقل اهمية منه ؟ ولكن ما اصابه اصاب الانبياء القدامى ، هؤلاء الذين حلمـــوا باللانهاية والذين كان متحمسا في الاعجاب بهم . انهم هم ايضا أبوا أن يسجلوا مواهبهم الثمينة على القرطاس . اذ لم يعبأوا بصالحهم الذاتي ، بل فرطوا بذور انجيلهم حتى تلتقطها قلوب الجميع وآذانهم . كيف يسع اي شخص ان يقيس هدية الشاعر الى الانسانية ؟ دعوه « مجرد منظر عاطل لقوة متلاشية » رجل لا يصلح لشيء وحشي ، خشن شيء غريب تافه .

هكذا دعوا ايرميا وهكذا دعوا سقراط : « ما الذي فعلته حتى أحاكم من قبل اخواني البشر ، واذا كنت فعلت شيئا فذلك ما يخص ضميري .» ثم اعد نفسه للانطلاق الى عالم افضل عدلا واكثر رحمة . تقدم الى النهاية بعد ان عرف بانه تخلص من عادة الافيون . توفي الساعة السادسة والنصف صباحا في وسط تموز [يوليو] . وبعد هنيهة من ذلك ، « تفتحت زهرة الآس وملأت الغرفة باريجها » تلك الزهرة التي كانت منتصبة على اريكة بالقرب من سريره .

العراق — بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

ثمالة الكأس

مهداة الى صديقي الاستاذ رشاد دارغوث

●

في دوامة من الخيبة تدور حياة باردة . والاحلام قبضة من الازهار الذابلة .

والامل جثة هامدة في هوة من اليأس المظلم ، وفي طريقي ... الاشواك والاجلاف والحقارة والضعة ، وهي تلتف حول كرامتي كالافعى الرقطاء الظامئة!

اية حياة هذه ؟ ان رائحة كريهة من انيون رخيص يخدر احساسي ، ومجاعة من الحقد تجتاح نفسي .

وفي وسط هذه الدوامة ، هذه الفوضى الاجتماعية الرهيبة ، تجثم علالة محبوسة هي روح الاديب ، تناضل ضد كل هذه الموبقات .

الخمرة ... هذه المتاهة التي تضيع فيها الارادة المستضعفة ، اضع فيها كل احزان هذه الليلة الشمطاء ، ليلة بلا نهاية — انها بداية مستطيلة جائرة وثقيلة كطوق من رحى الموت ... كاسنان مارد اهوج .

وهذه المرارة تلذع حلقومي ... كالحبل الذي يشد نطاقه البغيض حول محكوم بالموت ، كالانشوطة العتيقة بيد قاطع طريق ، وفي مرارة لاذعة ، من هذه الخمرة الصفراء الرديئة من محصول بلادي ، القي نفسي في احبولة الجاهلين ، واضع حياتي في كاس ..

كاس واخرى ، وانسى الاجلاف والحقراء من ذوي الوجوه الصفراء الصفيقة ، واصعد الى عالم آخر ...

وفي ضجيج هذه الملهاة ، وفي سحب هذا الدخان المعقود تختنق موسيقى صاخبة ...

وصوت « عفيفة » يئن كوجيعة خافتة في اعقاب ذلك الضجيج الاحمق ، وطفلتي في مهد عتيق ، تتنازع الحمى ... وامها تغرق في شجن سقام طويل !! وانا لا ازال في الدوامة تدور بي وتخضني لتخرج مني زبد الشقاء ، وتدور الدور والقصور والسيارات الناعمة من موديل ١٩٥٥ .. وطفل يتدحرج ملوثا بدمه ، وكلب يصيح ... وافقد معالم الاشياء ، ولكني والكاس تفيض ، اتذكر طفلتي وهي في مهدها العتيق ، وسكير آخر يهوم ليطرد النعاس عن عينيه في ضجيج «البردايس» .

وصوت « عفيفة » ايضا كالحلم الضائع ، يطوف اغنية عاشقة تهدهد رؤوساء « معلقة » ! وانا ابكي بصمت . ابكي قبل ان انطفىء كذبالة شمعة في مأتم حياة نبيلة !

ثم اذكر طفلتي ، تعصف بها الحمى ، وانا اجترع في لهفة هذه الخمرة الصفراء المرة العتيقة ، كاسا بعد كاس ، وقنينة بعد اخرى ..

وتدور راقصة عارية ... ويترجرج جسم نحاسي اشقر ... وتغيب « عفيفة » ويسكت الصوت الفضي ..

ويقهقه سكران آخر يقتل همه بهذه الوسيلة الوضيعة من خمرة بلاده المترفة !

وتذكرت وانا في ثمالة الكاس ، تذكرت مسقط راسي ! نهر (الوند) وهو يتدفق صافيا يوقع انشودته العريقة في شلال ابيض ، ومهد من التراب تنام فيه امي . ومهد آخر ينتظرني في مقبرة « علمدار » .

مهد احمر من تراب ندي ، حيث تسمع روحي طوال الليل اغنية البساتين والجنادب ، وهدير «الوند» الخالد قادما من بلاد الخيام . محملا بانين الماضي وحبه وبؤسه وتعاسته .

مهد من تراب ... القى به هذا الجسد ، واضع نهاية حياة مملوءة بالآمال الميتة .

مهد من تراب ... من تراب بلادي ..

تراب احمر ندي ، ليس فيه اية رائحة من السائل الاسود ، السائل البغيض لذي يقززني في كل قطرة من قطراته الذاهبة عبر الصحراء .

مهد من تراب ... مهدي هناك على ضفاف «الوند» اضع فيه نهاية آمال مخربة ، ولكنها نظيفة ونبيلة . ومع اجدادي ، مع ابي وعمومتي ، في تلك المقبرة البعيدة ساحفر مهدي في غد غير بعيد ...

والدوامة تدور كانها ارجوحة القدر ، هفهافة مولهة في ضباب من الاحلام المحتضرة .

وارفع كاسا اخرى ، اذكر طفلتي ، في مهدها العتيق ، في غرفة رطبة تسعل بمرارة . واذكر ضياعي ، بلا حب ولا دار ولا امل .. كالسنونو الذي يعبر آفاقا مجهولة ، بحثا عن زاوية في رواق ، عن حفرة في حائط ، يضع فيها نواة حياة جديدة ، كما اضع احزاني !! وتدور الدوامة في ضبابة الخمرة العراقية الحديثة الصفراء المرة الكامدة ، كالدم المتخثر خلط بماء كدر .

يا الهي ! وطفلتي ، ومهدي في تراب « الوند » والبستان ذو الهضبة . بستان ابي ومجال انسه ! وانا هنا خالي الوفاض ، ابحث عن سلوان طارىء ارديه عادية الايام وجواري « البردايس » في تغنج « وعفيفة » تعبر من بعيد كخيال الشعراء — وتذهب عبر امواج من الحب الذائب في نظرات ظامئة .

« وتولوز لوتارك » القزم الفنان ، الذي خلق لنفسه المضطهدة عالما ووجد الحب في قلب غانية ، والحياة في منعطف قنطرة ... يحكي حياتي .. نساء .. وفنانون وتعساء في رجراج من حياة صاخبة ، وانا كحية خضراء . حية واحدة ضائعة في مزرعة « اضي » فلتت من بين فك حمار هزيل وظهرت خضرتها في ربيع قصير .

نهضت ووقعت ... كان الحياة وضعت كل يدها السمينة على كتفي ... وطلبت القنينة الجديدة ، واغمضت عيني ونسيت الحقارة والاجلاف والضعة والطفلة الجميلة ، وهي تتنازع الحمى في مهدها البالي العتيق ..

بغداد — عبد المجيد لطفي

قـصـة

شك... الى الابد

بقلم فاضل السباعي



يفتأ صوت الصبي عمر يتعالى في صراخ وعويل فيطرق سمعي كما يطرق سمع اهل الحي جميعا ، فنشفق عليه من عنت ابيه وجوره .. ولكننا لا نملك الا ان يهمس كل منا بينه وبين نفسه : لا حول ولا قوة الا بالله !

ابو عمر لا يثق بابوته لعمر !.. انه يعتقد ان هذا الصبي ليس بابنه ، وانما ادخل في عمود نسبه جريا وراء الظاهر من الامور !

فاذا قلنا لابي عمر :

ـ اذن ادفع بالصبي الى من تعتقد انه ابوه !

كان يقول :

ـ لكنني اخشى ان اكون واهما في شكي وارتيابي .. فيكون الصبي ابني .. فكيف اذن أتخلى عنه للغير ؟!

ـ اذن كف عن سومه العذاب !

ـ ولكن صنيعه كصنيع اللقطاء .. ابناء الحرام !!

***

كان ابو عمر ـ محمود ـ آذنا في مدرسة الحي القريبة ..

وكان ، من قبل ان يصبح آذنا ، يلبس السروال البلدي الاسود ، ولكنه استبدل بلبس السروال ارتداء البنطال ومن فوقه سترة ، يهبه اياهما على مر الايام اساتذة المدرسة من اسقاط بذلاتهم ..

وكذلك .. فقد استطار محمود خيلاء وكبرا .. انه قد غدا « افنديا » ، موظفا بالمعارف ، يقبض في اول كل شهر مرتبا هو في زعمه محترم ايما احترام . وعلى ذلك فقد توفر لديه الشباب والحال المستقرة .. فما يمنعه من ان يكمل نصف دينه بالزواج ؟

على انه ، في سبيل الزواج ، لن يلجأ الى امه او اخته ، لتخطب له بنت صاحبتها ام حسن ، او بنت جارتها ام ياسين .. لسبب واحد بسيط : هو انه ليس له من ام او اخت ، فهو اشبه بغصن اقتطع من شجرة ليغرس في تربة خيّرة . وهو كذلك لن يلوذ بجارته ام ابراهيم لتبحث له عن بنت الحلال في من تعرف من البنات او لا تعرف !

انه لحريص على ان يخطب لنفسه بنفسه .. يرى البنت .. فتروق في عينه .. فيعلق بها .. ويتزوجها ، من بعد ان يكون قد خبر ما لها من اخلاق وطباع ، ولمس ما فيها من مناقب ومزايا !

ولكن .. اين هي البنت ؟ .. اين يلقاها ؟

مرة .. كان يشتري الخبز من فرن ابي اسماعيل الخباز .. فاذا بفتاة ذات قوام عبل في نسق وانسجام تشق طريقها من بعيد مقبلة الى حيث كان يقف امام المخبز .. يسبغ وجهها نقاب ، وتلف جسدها المتلىء ملاءة حريرية سوداء .. فاذا اصبحت بحذائه ، راحت تخاطب الفران بصوت لين المكاسر مغناج :

ـ اعطني الخبز يا ابا اسماعيل ..

ولم يتنبه ابو اسماعيل الى هذا الصوت الرخيم ، فقد كان يخاطب الصناع من الكوة عن يمينه التي تطل على داخل المخبز .. وهنا انبرى محمود ، وقد اوسعها تحديقا بجائع نظراته ، يسالها يروم ان يخوض معها في حديث :

ـ كم كيلو خبزا تريدين ؟

فصلصلت ضحكة رنانة في سمعه اطلقتها الفتاة ، وجسدها يهتز ويميس .. ثم قالت :

ـ ان ابا اسماعيل .. زوجي !

وصفعه مقالها !.. اذن فهي متزوجة .. بل متزوجة من صاحبه ابي اسماعيل الخباز !

ولما كان يمسك ، في المساء بعد انصراف التلاميذ ، بالمكنسة يكنس قاعات الدرس وباحة المدرسة .. كان شيء واحد يهيمن على عقله ، ويسيطر على مشاعره .. ذلك هو التفكير في تعسه وسوء حظه !..

لقد كان محمود يعتقد ، حتى ذلك الصباح ، انه اسعد آذن في مدارس الدنيا قاطبة .. ولكن بعد ان وقعت عيناه على هذا الملاك المتجسد في صورة انسان ، تلك التي اسمها ام اسماعيل .. غدا اتعس انسان في الوجود !

« انني احبها .. » هذا ما انتهى الى تقريره في خاتمة تفكيره ، اذ وصل في الكنس ، وما احس ، الى باحة المدرسة .. « انها المثال الذي اتعشقه في جمال المراة .. طويلة ، ممتلئة الارداف .. وهي ، من بعد ذلك ، سمراء لاهبة كالنار » .

ولكن .. اي سبيل يسلك للظفر بها ؟! انها متزوجة . متزوجة .. متزوجة !

« لعنة الله عليك يا ابا اسماعيل .. ليتك ما تزوجتها او ليتني ما عرفتك ولا وقفت على مخبزك يوما .. او ليتك تطلقها في الغد .. او تموت ! .. »

وليس يدري محمود اية لباقة واتته حتى استطاع ،

في بضعة ايام ، ان يعقد بينه وبين ابي اسماعيل الخباز وشيجة صداقة وود مكين !

لا ريب ان الدافع الى عقد هذه الصداقة هو كون ابي اسماعيل زوجا لذاك الملاك .. ولكن ، في الحق ، لم تكن لدى محمود فكرة واضحة عن قصد يسعى الى تحقيقه من وراء هذه الصداقة المتصنعة !

انه قد صادق ابا اسماعيل الخباز .. لان في اهابه ريحا طيبة هي بعض مما ينضحه جسد ام اسماعيل ، هذا الجسد الغض الرطيب !

ان محمود ما قصد وما فكر ابدا في ان ينتزع ام اسماعيل من بين احضان زوجها .. فزوجها ، لا شك ، مغرم بها شغوف ، مسبغ عليها من ضروب الايناس ما يجعلها في اقصى درجات القناعة والرضى ...

وتوثقت آصرة الود بين الرجلين .. حتى دعا ابو اسماعيل يوما صاحبه محمود الى بيته ، ليترشف من الشاي المعطر ، الذي تجيد زوجته ظريفه صنعه ، امام المنقل ، في تلك الليلة القارسة .. وما كان اسرع ان لبى محمود الدعوة .. فقد كان في ذلك المساء متربعا امام المنقل ، مطرقا الى النار لا يكاد يحيد ببصره عنها من فرط ما اعتراه من خجل وارتباك . بينما كانت ام اسماعيل تدلف الى الحجرة بقوامها الفارع المكتنز يهد الارض ، لتخرج بعيد لحظات .. وهي في ذلك تأتي بما يلزم لصنع الشاي ..

كان محمود مطرقا ، كأنما شد الى بعضه بامراس ، لا يريم .. كان يخشى، ان هو تنحنح او رفع بصره عن المنقل،

ان يقرأ الزوج ما يجول في خاطره من افكار لئيمة .. لا يفتأ — هو — يبذل قصاراه في طردها من خياله !

فاذا خلا محمود الى نفسه في آخر الليل ، فقد عرف اشياء لم يكن ليعرفها ، وما كانت لتخطر منه على بال !..

لم يكن للزوجين من ولد .. اما اسماعيل فهو اسم ابي الرجل ، تكنى به تيمنا ، في انتظار ان تضع له زوجته غلاما يسميه كذلك .

على أن ما هز كيان محمود الهز العنيف هو ما عرف من سوء التفاهم الضارب اطنابه بين الزوجين .. فمع كل كلمة يقولها الرجل لزوجته ، يطلق شتيمة اهونها « يا بنت الكلب .. » ان لم يقل : « والله لاطلقنك في آخر الامر » !.. وان الزوجة ، من اجل ذلك ، لا تبدي له من طبعها الا كل جفاء وعناد وشموس !

« والله ليس في الدنيا اغبى منك يا ابا اسماعيل .. ان لديك في بيتك لكنزا .. وانت عنه غافل !.. »

وتواردت الايام .. وامعن كل من الرجلين في محض صاحبه المحبة والود ، حتى بات محمود يتخطف الزيارات الى بيت ابي اسماعيل ، في الفينة بعد الفينة من ايام الشتاء ..

وهو كثيرا ما كان يطرق بيت صاحبه فلا يلقاه .. فتقوم اليه ظريفة تدعوه الى الدخول .. فليس يجمل ان يطرق الباب ولا يدخل يستريح من عناء الطريق .. وقد كان محمود يتأبى في اول الامر ، وهي تمضي في الحاحها. فيدخل من بعد ذلك .. ليمضي معها ساعة .. كان يتسمع خلالها الى سيل من الشكايات يتدفق في حديث الزوجة ، فيلمس مدى التعاسة التي تعانيها في حياتها مع ذلك الرجل الفظ ..

وبكت ظريفة مرة امامه من فرط ما فاض بها من شجن واسى ، ولما لاقته في محمود من عطف ورعاية وحنان بكت ، واجهشت ، وهي تقول متشكية :

— انه في كل يوم يتهددني بالطلاق ويتوعدني .. فمتى يطلقني واستريح ؟

وترقرقت اذ ذاك الدموع في مآقي محمود تأثرا .. وبصق في الهواء على لحية ابي اسماعيل الخباز .. ذلك الحمار الذي يحمل اسفارا !.. ثم سأل ظريفة عما اذا كانت جادة في رغبتها بالطلاق من ابي اسماعيل ، فاجابت على الفور :

— كل الجد !..

وصمتت هنيهة لتقول وهي تغض الطرف وتبتسم :

— انني لواثقة من ان خير افندي يتزوجني !..

وادخل هذا المقال على نفسه كل طمأنينة وارتياح .. انها اذن لفي جد في رغبتها بالطلاق .. وانها لتريد الزواج من افندي ، وانه هو — لا ريب — ذلك الافندي .. اجل ،

انه لحرام ان تدفن جوهرة في مثل تلك التربة الضحلة ، ولا يبني بها افندي مثله ؟!

على انها ترغب بالطلاق ، وابو اسماعيل يتوعدهـا به في كل يوم عشر مرات ، فمتى يكون الطلاق ؟

وذات يوم بلغ الشقاق بين الزوجين مدى بعيـدا .. فبعث ابو اسماعيل الى صديقه محمود من يستدعيـه للتوسط بين الطرفين .. فلما اطلع محمود على جليـة الخلاف ، انتحى بابي اسماعيل جانبا ليفضي اليه برايه .

اشار عليه بالطلاق .. ان الطلاق ، في الحق ، ابغض الحلال الى الله ،ولكنه ضرورة ليس منها في هذه الحـال من مفر .. فلا العيشة الراهنة طيبة ، وليس ثمة بارقـة أمل في الافق البعيد تنبيء برخاء عيشة مقبلة !

وقلب ابو اسماعيل راي صاحبه وصفيه على وجوهه جميعا ، في خلال بضعة الايام التالية .. لينهي برايه الى زوجته .. انه الطلاق !

.. ومنذ ان وقع الطلاق .. ووشيجة الصداقـة بين محمود وابي اسماعيل آخذة سبيلها الى التفكـك والانحلال ..

.. فاذا مرت شهور العدة الثلاثة .. كانت ظريفـة حاملا في الشهر الرابع من حملها ، وكانت في الوقت ذاته زوجة لمحمود تشاطره السكنى في بيته ، تؤنس وحدته ، وتضفي على حياته انداء من وارف السعادة ..

وكذلك تقضت الايام ندية رخية .. وضعت فيهـا ظريفة ولدها اسماعيل..ودفعته الى مطلقها ابي اسماعيل؛ فهو له كما تشهد الوثائق الرسمية من تاريخ زواج الـى تاريخ طلاق ... ولكن محمود يشعر بغصة ومرارة وهو يسلم الوليد الى من يكون ، في عرف القانون ، اباه !..

وتواصلت ايام وشهور من بعد ذلك .. فاذا الشقاق يطل بوجهه المقيت على حياتهما الزوجية ..

اطل الشقاق ، بادىء الامر ، من النافذة ، فكـان شقاقا على غير عنف .. ثم ما لبث ان تدلى من النافذة وهبط الى حياة الرجل .. فكان شقاقا عنيفا متواصلا !

اصبح محمود .. في كل كلمة يقولها لزوجته شتيمة اهونها « يا بنت الكلب .. » واصبح كل تصرف تأتيـه الزوجة ينطوي على تحد صارخ تستوفر منه الاعصاب !

انها تردد على مسمعيه بين يوم وآخر :

ــ لقد احسنت الراي بك .. فاذا انت من حثـالة النـاس !

وقد صار، في دخيلة نفسـه ، لا يذكر ابا اسماعيل الا بالخير .. لقد كان محقا اذن في كل ما كان يصدر عنه من قول او فعل بازاء هذه المخلوقة البذيئة اللسان ، اللئيمة الطبع .. وكم هو يلوم نفسه على سابق حسن ظنه بها .. لقد خالها ملاكا متنزلا في صورة انسان فاذا هي تخفي طي اهابها نفس شيطان رجيم !.

على ان محمود ، على كل ما كان يعاني في حياتـه مع ظريفة ، ما كان ليفكر في طلاقها ابدا .. وما اجرى لفظ الطلاق على لسانه مرة واحدة .. انه لمستعـد لان يتحمل منها كل ما لا يطاق احتماله ، في سبيل جسدهـا اللاهب الطافح شهوة واغراء ..

وراحت ظريفة تردد بين الحين والحين :

ــ رحم الله ايام عزك وخيرك يا ابا اسماعيل !

فيحس الرجل بالغيرة تعوي في فؤاده !.. ابلغ بها الامر ان جعلت تعد ايام السود مع مطلقها ايام خير وعـز ورخاء ؟.. ومع ذلك لن يطلقها .. فهو تواق ابدا الى ان يحرق كل ليلة نفسـه بجسدها اللاهب !

ومحمود ، يقظة منه واحترازا ، ليس يكلم ابـا اسماعيل .. ولا يدعو رجلا الى بيته ليترشف من الشاي المعطر ، الذي تجيد زوجته صنعه ، امام المنقل ، في ليالي هذا الشتاء الجديد .. فقد حرص الرجل على ان يضرب ، بين زوجته وبين اتصالها بالناس ، سياجا منيعا من اوامر ونواه لا يفتا يصدرها في صباح ومساء .

على ان ذلك كله لم يكن مجديا .

فقد توجه محمود الى بيته في ضحى يوم ، في غير موعد العودة .. وهو يولج المفتاح في ثقب الباب سمـع جمجمة غير بينة تصدر من بيته .. فاصاخ السمع يتنصت فاستبان له صوت زوجته يعلو متشكيا من تصرفات زوجها، ومما تعانيه من تعاسة في حياتها في كنفه .. ثم تمتمة رجل خافتة .. فبصقة في الهواء على لحية ابي محمود !

وما ملك محمود ان اندفع الى حيث الاثنـين .. ليبصق في وجه ابي اسماعيل .. وليقذف في وجـه ظريفة بيمين الطلاق !

فاذا مرت شهور العدة الثلاثة .. كانت ظريفة حاملا في الشهر الرابع من حملها .. وكانت ايضا زوجـة لابي اسماعيل تضفي على حياته انداء من وارف السعادة !

فلما وضعت المراة وليدها « عمر » دفعه زوجها الى محمود ، وهو يشعر بغصة ومرارة اذ كان يسلم الوليد الى من يكون ، في عرف القانون ، اباه !

ومن يومئذ .. منذ سنوات ست او سبع .. وابو عمر ــ محمود ــ مضرب عن الزواج ..

وانه لينظر ، في اللحظة والاخرى ، الى عمر هذا .. ويتساءل : « اهذا ابني حقا .. ام ان ابني هو اسماعيل ؟» وكان في كل مرة لا يخرج من سؤاله بجواب مقنع شاف ، وانما يطلع بثورة عارمة ينهال فيها على الصبي ضربا مبرحا !

فاذا قلنا لابي عمر :

ــ ادفع بعمر الى ابي اسماعيل ، وائت باسماعيـل اليك ..

فانه يقول :

ولكنني اخشى ان اكون واهما في شكي وارتيابي !

انه لمقدر لابي عمر ان يعيش في شك .. الى الابد !

حلب **فاضل السباعي**

اشراق

*

أشرقت في ظلمات الروح كالقمر ضافي البشاشات والاحلام والصور
تستشرفين سماء رف كوكبها بالحب والمثل البيضـاء والذكـر
تحنو على الخاطر الداجي كأشرعة تسري الى الوطن المحبوب والوطر
عيناك ربانها الهادي تجاوبه من الاغـاني مويجات عـلى النهـر
وقلبك الغض نبع للعبير همى كالطل يندى على الاعشاش في الشجر
وفي مجاني الهوى ضاعت كألوية زهور حسنـك اكليلا لمنتصر
وفي ظلال نجاوانا معطرة أبهاء حبك أبهى من سنـا الـدرر
يضمنـا ساحها في قلب مشرقة من الاماسيّ عليا الوجـد والفكر
عليك فيض من اللألأ منبثق من سحرهـا فتنـة للقلب والبصر
ومنـك اشعاع ربات الضحى خطرت على المروج ربيعا خالد السور
وفيك رقـة أملاك مجنحة على الفضاء كأنفاس الصبا العطـر
ومن حناياك يهفو خافق غرد من الاماني عذب الهمس والسمر
واللحن ينساب في الاجواء متسقا من أفقك الحر صداحـا بلا وتر
ومن اناملك الانغام حانية على القلوب كنفح الطـل للزهـر
وثغرك الباسم الوضـاء أغنية رفافة الحسن في أملودك النضر
موقّع الشدو يسري في الفؤاد رؤى مطلولة من غدير النور في البكر
قدسية طلقة الاصداء هائمة في قمـة الفلك النشـوان بالقمـر
يحدو الى الخلد ركبي في السرى نغم ريـان من جدول بالنور منهمر
أفضى لقلبي من عينيـك مطردا مؤله السر محجوبا عـن البشر
رؤيا تمثـل في عيني وفي خلدي كخفقة الوحي او كالهامس الحـذر
أطلت الروح منها فهي نافـذة الى فراديسـك المسدولة الستر
سكرى بما رق من خمر الصفاء على بحيرة رقرقتها الريح في السحر
وفي غيوم الاسى ألقاك باسطـة جنـاح حبك منجـاة مـن الغـير
وقلبك السمح فجر عز ناشـده من الضياء تجلى في دجى القدر
وأنت سلواي في الدنيا وبهجتهـا ورائدي في خفاياهـا ومصطبري
كنز على الدهر لا تفنى ذخائره غنيت في حبـه عـن كل مـدخر

القاهرة **حسن فتح البـاب**

في كلمات ...

● سيعمد بعض علماء جامعة كاليفورنيا الاميركية الى اجراء عدة تجارب لاكتشاف بعض اسرار داء السرطان ، واما هذه التجارب فتتلخص في تلقيح فارة ولدت حديثا بمكروب السرطان اللولبي بحيث ينتقل اليها الداء وتاخذ بالنمو بصورة غير طبيعية ولا شك بان هذا النمو لن يكون نفسه داء السرطان وانما سيصبح كذلك بعد انقضاء مدة من الزمن ..

وسوف يستخدم لمقاومة هذا الداء على الفارة عدد من المستحضرات الطبية الجديدة حتى يعرف مدى تاثيرها على وقف نمو السرطان

● اكد الدكتور ريز في محاضرة القاها في لندن بان دخان محركات ديزل يعرض الانسان الى سرطان الرئة اكثر من دخان السكاير ...

ويطلب الطبيب لذلك ان تعمد السلطات الى اتخاذ عدد من التدابير اللازمة لضمانة سلامة المواطنين قبل استخدام سيارات الاوتوبيس التي تسير على محركات ديزل .

● انتهى معظم الذين عينتهم جمعية مكافحة السرطان الامريكية للتحقيق في علاقة التدخين بالسرطان ، الى ان مدخني السجائر هم اكثر عرضة من غير المدخنين للاصابة بسرطان الرئة . وهذه هي نتائج التحقيق في ٨ الاف وفاة من جراء الاصابات بسرطان الرئة .

ـ نادرا ما يصاب غير المدخنين بسرطان الرئة .

ـ يتناسب عدد الوفيات مع عدد السجاير المدخنة يوميا ولكن الخطر مع ذلك يصيب كل من يدخن ، اكثر من ١٠ سجاير يوميا .

ـ السبب الاساسي في الوفيات لدى الاشخاص الذين يدخنون علبتين او اكثر في اليوم هو امراض القلب ويأتي السرطان في المقام الثاني .

ـ التدخين بالغليون او تدخين السيكار اقل خطرا من تدخين السيجارات .

● تقول صحيفة وشنطن دايلي نيوز ان جميع المؤسسات التي تعمل في ميدان مكافحة السرطان في الولايات المتحدة ستخضع من الان وصاعدا لارشاد منظمة واحدة هي لجنة السرطان الوطنية التي انشئت من اجل توحيد الجهود المبذولة للقضاء على السرطان .

● اعلن الاطباء الاميركيون بعد دراسة « ميكروسكوبية » ان المدخنين تتضخم عندهم بعض الجيوب الهوائية في الرئة ويعتبر بعض الاخصائيين ان هذا التضخم يعد مقدمة للاصابة بسرطان الرئة .

● توجد الفيتامين (آ) بكثرة في كبد الاسماك والحيوانات الفتية كالعجل والحمل وفي مح البيوض والزبدة الصيفية والجبنة والجزر وزهرة القرنبيط والليمون الحامض والبرتقال والبقدونس .

ويقول الاطباء ان الفيتامين (آ) هي فيتامين الشباب لانها توجد في الحيوانات الفتية والخضار ، كما انها تساعد على النمو وعلى مقاومة الالتهابات الجرثومية وتضاعف قوى التناسل ، لذلك يلجأ الطب اليها لمعالجة الهزال وانحطاط القوى وبعض الامراض الجرثومية .

والجدير بالذكر ان هذه الفيتامين هي احد العناصر الرئيسية في تكوين الخلايا الحية ، لانها تؤلف النواة من كل خلية ، ويقول العالم جوابه لافيران ان السرطان يبدأ عادة باختلال نواة احدى الخلايا ثم ياخذ بالامتداد والاتساع .

ويؤكد العالمان شيرمان وبول ان وضع الفيتامين (آ) في الطعام يعطي قوة ومناعة ويؤخر انحطاط الامكانيات التناسلية ويطيل العمر .

ان السرطان كالضغط والسكري يصيب عادة المتقدمين في السن ، ومن علامات التقدم في السن الظاهرة السمنة وظهور البطن .

ويعمد شيرمان الى تعزيز نظريته بالامثال حتى ينتهي الى القول ان الفيتامين (آ) هي من اهم العناصر الانعاشية في الحياة ويؤكد ان جميع الذين عالجهم بهذه الفيتامين منذ سنة ١٩٤٥ لم يصابوا بالسرطان على الرغم من انهم كانوا مهددين به .

ان هذه النتيجة ليست قاعدة طبية ثابتة بل نظرية تحتاج درسا وتمحيصا طويلين ولما كان السرطان من الامراض التي تشغل الاوساط الطبية في جميع انحاء العالم فعمد شيرمان وزملاؤه العلماء الى درس تاثير الفيتامين آ على الجسم الحي ، لمعرفة ما اذا كانت تشفي من مرض السرطان ام اذا كان مفعولها لا يتخطى حدود الوقاية .

● تمكن الطبيب الجراح الالماني البروفسور هاينريش باور من انقاذ حياة طفلة المانية من الموت بعد ان أجرى لها ثلاث عشرة عملية جراحية فريدة في بابها وركب لها مريئا اصطناعيا يقوم بايصال الطعام الى معدتها . وقد كانت هذه العملية الجراحية هي الاولى من نوعها التي اجريت لطفل حتى الان يتركيب مريء صناعي لها من نسيج جسمها .

● اعلن علماء الحكومة الاميركية في مؤسسة القلب الوطنية عن اكتشاف « اجسام مضادة » في الجسم البشري تتلف العلاجات والمركبات الخارجية التي لا قيمة غذائية لها . وتقول المؤسسة ان هذا الاكتشاف سيساعد على انتاج علاجات افضل تخصص للقيام بعمل معين داخل الجسم .

● نجحت كلية الطب هنا بمساعدة مختبرات شركة جنرال موتورز في صنع جهاز يدعى « ايليكترو ـ ستيتوغراف » يكبر ويسجل الاصوات الصادرة عن القلب والتي لا يمكن سماعها بواسطة السماعة العادية . ويعتقد المكتشفون ان هذه الالة ستساعد على معرفة اسباب بعض الحركات القلبية وتسجل هذه الالة الاصوات والاختلاجات القلبية على الورق

وما هو الان حظ المصاب بالحياة بعد اجراء عملية الاستئصال ؟

ان احدث الاحصاءات تقدم لنا ارقاما متفاوتة حسب الاطباء . ويعزى هذا التفاوت الى كون بعض الجراحين لا يترددون في اجراءالعمليات في حالات بلغ فيها السرطان مرحلة خطرة ، فيما يعالج سواهم حالات اكتشف فيها السرطان في بداية مراحله ، فيكون نجاحه والحالة هذه اضمن .

وهنالك احصاء لمئة وعشرين جراحة اجريت في حالات السرطان المعوي ، يثبت ان عشرين مصابا ما يزالون احياء يتمتعون بكامل صحتهم خمس سنوات بعد اجراء الجراحة . ولكن ثمة احصاءات توضح ان مريضا من كل عشرة مرضى ، يظل حيا لمدة طويلة ، تراوح بين ١٠ و١٢ سنة . واذا لاحظنا ان الجراحة اجريت لمصابين في الستين او الخامسة والستين من عمرهم ، أيقنا ان في الامر شفاء حقيقيا .

وعلى اي حال فان الاحصاءات تجمع على اثبات امر واحد ، هو ان نسبة النجاح متوقفة على مقدار السرعة في اجراء الجراحة .

وتجدر هنا الاشارة الى بعض النصائح التي تتعلق بنظام الاكل الذي يترتب على المصاب اعتماده بعد استئصال امعائه .

فالاطعمة الصالحة هي المغذية المشهية (لان المصاب بالسرطان يفقد شهيته) اللينة او السائلة والتي لا ينتج عنها تهيج في الغدد والانسجة . وخير لائحة تؤلف من الالبان والبيض الطازج ، واللحم الطريء ، وبعض المعاجين ، والنخاع ، والارز ، والمربيات ...

وفي حال التقيء او انعدام الشهية ، يلجأ اليوم الى التنظيف المغذي ، والى تغذية المريض اصطناعيا عن طريق حقنة في العضل .

ومن حسنات هذه الطريقة انها تمد الدم بالغذاء عن غير طريق الامعاء المريضة .

ويمكن كذلك رؤيتها مباشرة على شاشة صغيرة تشابه شاشة التلفزيون .

● اعلن في اجتماع عقدته « الاكاديمية لاطباء السل في امريكا » انه تم اكتشاف طريقة سريعة وفعالة لتشخيص داء السل . وقد اعلن ذلك الدكتور كوبر استاذ الطب في جامعة شيكاغو وقال : ويجري ذلك عن طريق تلقيح المريض بمادة كيماوية في ذراعه فاذا كان المريض مصابا بداء السل ، يصاب برد فعل خلال ثلاثين ثانية واشار الدكتور كوبر الى ان الاختبار سريع وفعال .

● يقول الدكتور البرت غولدشتاين من جامعة ماريلند ان الكلية الاصطناعية قد ساعدت على انقاذ مئات الارواح في الولايات المتحدة خلال السنتين الماضيتين . واوضح الدكتور ان هذه الكلية قد اثبتت فعالية كبيرة في المرضى الذين يستخدمونها فور اصابتهم بالتسمم نتيجة سوء الافراز في الكليتين .

● اقر ٥٠٠ من خبراء الطب استخدام التلقيح الصناعي في العائلات التي لا تستطيع انجاب الاطفال ، وهؤلاء الاطباء ينتمون الى الجمعية الامريكية لدراسة العقم وقد اتخذوا قرارا يعد اول تصديق رسمي على فكرة التلقيح الصناعي من جانب هيأة طبية معترف بها وقد ظفر القرار باغلبية كبيرة ، ٧٥ صوتا مقابل ٨ وذلك اثناء المؤتمر السنوي الحادي عشر للجمعية .

وقد نص القرار على انه اذا كان التلقيح الصناعي يتفق ومعتقدات الزوجين ورأي الطبيب فهو والحالة هذه نوع مرغوب فيه من انواع العلاج الطبي سليم من الناحية الخلقية .

ووضعت الجمعية شروطا قالت قبول التلقيح الصناعي رهن بها وهي :

ـ الرغبة الملحة لدى الزوجين في استخدام هذه الوسيلة العلاجية لحل مشكلة العقم .

ـ الحرص في اختيار شخص سليم من الناحية البيولوجية والوراثية ليضطلع بدور الواهب على ان يكون الاختيار من جانب الطبيب .

ـ اعتقاد الطبيب ، بعد دراسة مستفيضة بان الزوجين سيصبحان والدين مرغوب فيهما .

وجاء في القرار ان الاطباء الذين اجروا التلقيح الصناعي عدة سنين يستطيعون ان يثبتوا بالتجربة ان هذه الوسيلة مرغوبة اكثر من التبني وقال القرار ان من مزايا التلقيح الصناعي انه يتيح للزوج فرصة العناية بزوجته ابان فترة الحمل وساعات الولادة .

ثم قال ان اعضاء الجمعية قد لمسوا النتائج الطبية فيما يتعلق بالاطفال والعائلة كوحدة ، وان الوالدين في بعض الحالات قد عمدا الى التلقيح الصناعي لانجاب اربعة اطفال وهذا دليل اخر على السعادة التي تضفيها هذه الوسيلة على العائلات التي لا تنجب .

● توفيت في مدينة روزاريو بالارجنتين السيدة كارمن نفاريس عن ١٤٨ سنة ، وتعد اكبر معمرة في العالم . وقد ورد في السجل الرسمي للمواليد انها ولدت يوم ١٣ يونيو ١٨٠٧ ، وكانت وفاتها في احد ملاجيء العجزة حيث تقيم منذ ١٢ سنة .

● اعلن الطبيب العام الدكتور ليونار شيل بان الحكومة الامريكية ضمنت جميع كميات لقاح سالك ، ما عدا كميتين انتجتهما مصانع كوتر وبيركلي ، مؤكدا بعد ذلك ان الدوائر الطبية عمدت الى اعادة فحص جميع الكميات التي انتجت من هذا اللقاح بعد اصابة عدد من الاطفال بداء الشلل بعد تلقيحهم بهذا المصل .

ومن المعروف ان التحقيق الذي تناول كميات المصل التي انتجت في مختبرات كوتر دل على وجود فساد في الصنع .

● اعلن ان مصلحة الصحة العامة في الولايات المتحدة قد اجازت استئناف عمليات تلقيح الاطفال بمصل سالك الواقي من داء شلل الاطفال ، ومن المعروف ان هذا القرار هو اول استئناف لعمليات التلقيح منذ ان امرت السلطات الرسمية بتوقيفها .

وقد علم ان دائرة الصحة العامة قد امرت بمراقبة جميع الكميات المنتجة من لقاح سالك ولم يقع أي حادث حتى الان بين الاطفال المطعمين .

● تقول الجريدة الهندية ستايتمان ، بانه نظرا لوفرة القرود وقلة تكاليفها قررت الحكومة الهندية صنع دواء سالك في بلادها ، ومن المعروف ان دواء سالك يستخرج من كليتي القرود ، التي تتعيش بكثرة في المقاطعات الهندية .

● اعلن الدكتور رامون بوربانو استاذ الامراض العقلية في جامعة برشلونة في محاضرة القاها في وشنطن ان العرب كانوا اول من ساعدوا على اكتشاف العلاجات للعناية بالمصابين بالامراض العقلية . وقال ان العرب قد كانوا لمدة طويلة خلال العصور الوسطى الجماعة الوحيدة التي حافظت على العلوم ورافقت مراحل تقدمها .

● اعلن الدكتور بول شافليه بان الامراض التي يتعرض لها المصاب بالاشعاع الذري تشبه عوارض المتسمم بالزرنيخ واشار الدكتور الياباني مساوا بان امراة حامل اصيبت بالاشعاع ، فوضعت طفلا ضعيف البنية غبي الى درجة كبيرة .

● تستخدم المستشفيات الامريكية اليوم فيتامين ب ١٢ ، بعد تعريضه للاشعاع الذري ، للكشف على المعدة وتقرير احتوائها على العصارات الحامضية او عدمه . ويستعمل هذا الاختبار في الدرجة الاولى لمعرفة ما اذا كان المريض مصابا بالانيمياء الخبيثة ، اذ ان معد مرضى هذا الداء لا تحتوي على الاحماض الاعتيادية كما انها لا تفرز « العامل الجوهري » وهي المادة التي تساعد الامعاء على امتصاص فيتامين ب ١٢ .

فاذا اعطي الاشخاص الاصحاء جرعة مشعة من الفيتامين المذكور ، امتصتها اجسامهم بينما تعجز عن امتصاصها اجسام المصابين بالانيمياء الخبيثة وهكذا يمكن للاطباء ان يقرروا ما اذا كان المريض مصابا بهذا الداء او بمرض اخر ، كسرطان المعدة مثلا . ومكتشف هذا الاختبار هو الدكتور لويد ماكلين بكلية الطب بجامعة منيابوليس .

● لوثت فراشات من النوع الابيض الكبير باشعاعات ذرية مساوية للاشعاعات التي تنجم عن تفجير القنبلة الذرية واطلقت من ابسويتشر سافولف في بريطانيا وذلك بغية الوقوف على تاثير مثل هذه الاشعاعات على لون بشرة الانسان . وينتظر ان تساعد هذه التجربة في مكافحة الخراجات والدمامل السوداء وهي من البثر الخبيثة .

وقد تسرح هذه الفراشات التي خضبت اطراف اجنحتها بلون وردي تمييزا لها عن



سواها في طيرانها حتى تبلغ فرنسا . ويقول الدكتور ادوارد ايلمهارست المشرف على هذه التجربة من شرقي سافولك ومستشفى ابويتشر انه بسبب عادات الفراش التوالدية يؤمل بان تظهر الدلائل الاولى لنسل غريب في اواخر الصيف والخريف .

● صرح ناطق بلسان وزارة الخارجية الامريكية بان الولايات المتحدة وافقت على تزويد لبنان بالاورانيوم وعلى مساعدته في انشاء مركز لابحاث تحطيم الذرة بموجب مشروع الرئيس ايزنهاور المتعلق باستخدام الذرة في الاغراض السلمية . وقد وقعت الولايات المتحدة وممثلون عن الحكومة اللبنانية هذه الاتفاقية ، وهي تقضي بان تقوم لجنة ذرية خاصة بتزويد لبنان بكمية من الاورانيوم الفني بالمواد الذرية، لا يتعدى وزنها ستة كيلوغرامات وبمساعدة لبنان على انشاء مركز لابحاث تحطيم الذرة .

● يقوم الان مختبر لجنة الطاقة الذرية بروكهافن بامريكا باختبارات واسعة لانتاج انواع جديدة من النبات بواسطة الاشعاع الاجماعي . ويساهم في هذا المشروع الكبير ٧٥ مؤسسة امريكية وكندية . وتهدف احدى هذه التجارب الى انتاج نوع جديد من الارز تكون « قصلته » قصيرة وقوية لتتمكن من الصمود بوجه الرياح الشديدة .

● اعلن في وشنطن انه اصبح بالامكان معرفة بقايا النبات الموجودة في التربة منذ ٤٠ الف سنة وذلك بفضل الساعة الذرية الجديدة التي ابتكرتها لجنة الطاقة الذرية الامريكية .

● ادلى الجنرال هرتفورد رئيس قسم الابحاث العلمية بالجيش الامريكي بشهادته امام اللجنة الفرعية التابعة للجنة الطاقة الذرية المشتركة بالكونغرس فصرح ان الطاقة الذرية قد فتحت افقا جديدا في صناعة الاطعمة وغيرها من الامور الحياتية (البيولوجية)

واردف يقول ان تعقيم الاطعمة بواسطة الاشعاع الذري يوفر غذاء ذا طعم وتركيب افضل من الاغذية المحفوظة بالطريقة التقليدية.

وقال ايضا ان الطريقة الذرية الجديدة لا تتطلب الا زيادة حرارة الطعام المراد تعقيمه بضعة درجات لبضعة ثوان بعكس طرق التعقيم الحالية التي تتطلب رفع حرارة الطعام الى ٢٤٠ درجة فرنهايت لمدة ساعة او نيف .

وقال الجنرال هرتفورد ان باستطاعة الاشعاع ازالة تلوث الاطعمة بالجراثيم مما يتيح حفظها بدون حاجة للتبريد لمدة طويلة دون ان تفسد . كما ان الطعام المعرض للاشعاع يبقى محتفظا بجميع منافعه الغذائية وان تكاليف تعقيمه معقولة .

● توصل رجال العلم الالمان الى اختراع — اذن — آلية مرهفة يمكن بواسطتها سماع الاصوات والاشارات التي تصدر عن عمال المناجم الذين نكبوا بانهيار طبقات الارض عليهم ، وتتخذ بواسطتها التدابير اللازمة واعطاء الاشارات الهامة لرجال الانقاذ . اما الجهاز الجديد فيبلغ وزنه سبعة كيلو غرامات فقط وله مفعول مدهش في احوال الانقاذ في المناجم اثناء حدوث الانفجارات الناتجة من الغازات .

وخاصة الجهاز انه يقوم بقياس الاصوات الناتجة عن مختلف الاجسام الموجودة تحت طبقات كثيفة عبر الجبل او غيره من الاجسام الصلبة . وقد اتى بنجاح باهر ادهش المهندسين انفسهم لقوة مفعوله وشدة اثره .

وقد تبين بعد التجارب التي اجريت عليه بانه يلتقط اصوات الاشارات عبر جدار رملي سمكه ٢٠٠ متر مع ان الاذن العادية لا يمكنها سماع مثل هذه الاشارات اكثر من سمك ٥٠ مترا فقط . ويعتبر ظهور هذا الاختراع عونا كبيرا لفرق الاسعاف . وينحصر عمل رجال الاسعاف بواسطته في ان تقوم طائفة منهم باستخدام الجهاز تحت اشراف الاختصاصيين في الاستفادة منه ، ويتصلون به مع الذين اصبحوا تحت الردم ، فيدلونهم على الطريقة التي يمكن لهم ان يسلكوها لانقاذ حياتهم . ثم تبدأ بعد ذلك اعمال الانقاذ اللازمة وعمليات ازالة اجزاء التراب المردومة .

● ظهرت في اسواق المانيا الغربية للمرة الاولى سيارات جدرانها مصنوعة من المواد الاصطناعية غير المعدنية . وكان ظهورها بالطبع باعثا على التحفظ والشك في قوة تحملها وذلك كما كان عند استعمال الحديد والفولاذ في صنع السيارات عوضا عن استعمال الاخشاب فقط . ولا تزال هذه السيارات الجديدة في طور التجربة حتى اليوم .

الا انه امكن الان الوقوف على فضائل هذه السيارات — الاسبور — وسيارات النقل وخاصة المعدة لنقل السوائل منها . ويساعد في هذه السيارات الجديدة خفة الوزن والاقتصاد بالمحروقات والاستعاضة عن ثقل الوزن بتحميلها بمواد اخرى اضافية والمادة التي تصنع منها جدران السيارة الجديدة لا يطرأ عليها الصدأ ويسهل صنعها على الشكل المستحب ، وهي تشتق من مادة الزجاج وصموغ الاشجار وتمزج على نسبة معينة فتذاب وتصب في القوالب وتطلى وتضغط على الشكل المراد.

وجدران السيارة المصنوعة على هذا الطراز يمكنها ان تتحمل ثقل اربعة رجال في آن واحد ، بينما صفيح الحديد في السيارات العادية لا تتحمل مثل هذا الوزن . ويتوقع المختصون بان هذه السيارات الجديدة ستلقى نجاحا فعلا في المستقبل .

● في سنتي ١٩٥٧ و١٩٥٨ سيتعاون علماء من ٣٩ دولة في اكمل دراسة اجريت حتى الان للكرة الارضية والجو المحيط بها . وقد اطلق على هذا البرنامج الدراسي اسم « سنة الجغرافيا الطبيعية الدولية ١٩٥٧ — ١٩٥٨ ».

وقد بدات الولايات المتحدة تستعد لهذا البرنامج فارسلت في اوائل سنة ١٩٥٥ الحالية الباخرة كاسحة الجليد « اتكا » الى المحيط المتجمد الجنوبي . اما مهمتها فهي اولا تحضير الامكنة لمخيمات العلماء الذين سيدرسون المتجمد ويراقبون الاحوال الجوية ويقيسون قوة الاشعاعات الكونية في تلك المنطقة .

اما الحصول على معلومات اضافية عن الحالة الجوية في المتجمد الجنوبي فهو شيء هام جدا لان تلك الاحوال قد تؤثر جدا على حالة الطقس في العالم كله وهذا شيء لا يعرف المنتظر ان يحصل العلماء على معلومات هامة عنه العلماء الان الا الشيء القليل . ومن جدا اثناء هذه السنة الدراسية .

● عثر احد العلماء الجيولوجيين الالمان على سلحفاة متحجرة ذات ثلاثة مخالب يعود تاريخها الى خمسين مليون سنة ، وهي اول سلحفاة يعثر عليها في اوروبا . وقد انقرض هذا النوع من السلاحف قبل ملايين السنين عند نهاية العصر الجيولوجي الثلاثي وعندما اخذ مناخ اوروبا في البرودة ، وما يزال هنالك نوع من هذه السلحفاة يعيش في القسم الجنوبي من حوض نهر الميسيسبي في امريكا .

● قابل السيد ماجد المالكي محافظ السويداء عاصمة جبل الدروز في سوريا السيد عبد الباقي نظام الدين وزير الاشغال العامة وعرض له ما تشير اليه بعض التقارير الجيولوجية من ان مدينة السويداء قائمة على بحيرة ضخمة من المياه الجوفية يمكن تفجيرها والاستفادة من مياهها في ارواء مساحات واسعة من الاراضي الزراعية وطلب السيد المالكي من الوزارة تأمين خبير جيولوجي يزور المنطقة ويقوم بتحريات لمعرفة صدق هذا القول .

● عادت الشائعات تدور قوية حول ظهور رجل الثلج المخيف . وقد ذكر ان رجل الثلج قد خلف آثار قدميه في وادي باران عند سفح الهيمالايا .

وقام العالمان الجيولوجيان بورديه ولاتريل بتصوير هذا الاثار بعد تتبعها مساحة كيلومتر واحد .

والعالمان المذكوران كانا قد قهرا اخيرا قمة ماكالو ثالث اعلى قمة من جبال الهيمالايا .

وقد عثر على ارتفاع ٤١٠٠ مترا ، على آثار اقدام وتبعاها الى ان اختفت عند نقطة صخرية . وكانت بقياس قدم الانسان ويعتقد العالمان انها لحيوان يسير على

قائمتيه الخلفيتين منتصبا .

هذا ويقول جول تيري عضو البعثة الفرنسية لتسلق قمة لنفتنغ احدى قمم الهيمالايا ان رجل الثلج الرهيب هو في الواقع انسان ينتمي الى جنس من الاقزام البدائيين يعيشون في اعالي الهيمالايا . وان هذا الجنس من الاقزام في طريق الانقراض .

ولكنه بين بان نظريتها هذه ليست سوى مجرد افتراض خلص اليه على اساس اوصاف رجل الثلج كما سردها الادلاء .

والمعروف ان جول ديتري اخصائي في اقزام الكونغو وكان قد اكتشف عام ١٩٤٧ جنسا من الاقزام في هيمالايا الشرقية وفي كيوكنيغ في الجبال البورمية .

● سمع الحاضرون في الجمعية الملكية للشؤون الفلكية في لندن تسجيلا صوتيا لاصطدام مريع وقع بين مجموعتين من النجوم منذ حوالي مائة مليون سنة ضوئية وقد سجل البروفسور لوفيل اصوات ذلك الاصطدام لحساب مركز « الراديو والفلك » واستعان في ذلك بموجبات لاسلكية قصيرة للغاية واجهزة لتقريب الصوت .

وصرح البروفسور لوفيل بانه لم يستطع ان ينقل من اصوات ذلك الاصطدام الكوكبي الا ما يشبه الهمس والتاوهات وقال ان الاصطدام انتج طاقة كبيرة ولكن لا يدري احد كيف أنتجها .

ثم قال ان الاصطدام وقع بين مجموعتين من الكواكب ابعد من المجرة وان الصوت انتقل بسرعة الضوء وانه لم يصل الى الارض منذ وقوع الاصطدام الا اخيرا .

● عثرت بعثة التنقيب الاميركية عن الاثار التي شرعت بالتنقيب منذ حوالي شهر في البادية السورية على بعد عشرين كيلومترا من مدينة تدمر في الكهوف المتفرقة في الجبال الصخرية المحيطة بالمدينة عثرت على آثار الانسان الاول الذي كان يعيش في البادية قبل العهود التاريخية اي قبل نحو ستين الف سنة قبل الميلاد .

وقد وجدت هذه البعثة الى جانب عظام ذلك الانسان الادوات والاسلحة الحجرية التي كان يستعملها في الصيد والقنص وصرح مصدر رسمي في مديرية الاثار العامة بان البعثة قد عثرت على ٣٥٠٠ قطعة من احجار الصوان الاميركية المذكورة بمعونة الخبراء السوريين التي كان الانسان يستعملها في قضاء حوائجه كما عثرت على هياكل ذلك الانسان ومن المرتقب ان تحدث هذه المكتشفات فتحا جديدا في التاريخ القديم .

● اعلن طبيبان في نيوجرسي احدهما يدعى فلاهرتي والاخر جانسكي انهما نجحا في ترويض الاطفال الاشرار بعقار مهدىء للاعصاب اسمياه « كلوديرو مازين » او « تورازين » .

وقد ابلغ الطبيبان المؤتمر السنوي للجمعية الطبية الاميركية انهما استخدما العقار في علاج ٤٥ طفلا باحد المراكز الطبية فارضت النتائج الاباء .

● وصل اربعة من رجال استكشاف اعماق البحار البريطانيين الى قبرص للبحث عن مدينة سلاميس الغارقة في عرض الساحل الشرقي من الجزيرة .

ويأمل الرجال الاربعة العثور على اسرار المدينة التي كانت معروفة في عهد الرومان « بامبراطورية الشرق » والمعتقد ان المدينة غابت في اللجة اثر هزات ارضية عنيفة في القرن الرابع الميلادي .

وقد بدأ رجال الاستكشاف اعمالهم التي ستستمر طيلة خمسة اشهر على الاقل وقد مكنت التنقيبات التي جرت مؤخرا في سلاميس من العثور على ملعب من القرن الرابع قبل المسيح ، يعتقد ايضا انه دمر على اثر زلزال في القرن الرابع ميلادي ثم تم بناء ملعب جديد على غراره في مدينة مسيحية .

● اعلن في كالكوتا ان احدى بعثات الاثار الهندية قد اكتشفت اخيرا قبيلة في جزيرة عندمان لا تعرف استخدام النار ، ويبلغ عدد افراد هذه القبيلة ٢٠٠ شخص ، وهم يقيمون في هذه الجزيرة التي تبعد ٧٠٠ ميلا عن كالكوتا .

● يحوي جسم الطفل ٢٨٠ قطعة من العظم، اما جسم الرجل فلا يحوي الا ٢٠٦ لان بعض العظام تتحد مع بعضها عندما يتم نمو الجسم .



قصص من الادب الانكليزي المعاصر

لجبرا ابراهيم جبرا ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات دار السعيدي بغداد

الفن القصصي في الغرب في تطور مستمر . وقد تغيرت المضامين ، كما تغيرت اساليب السرد والحوار ، الى ان اصبحت حكايات « الرومانس » التي تدور حول البطولة والفروسية روايات لجيمز جويس ووليم فوكز ، تدور حول حياة المدن . ولكنها كلها في اشكالها المختلفة ليست الا تصويرا لموضوع واحد : النفس البشرية . وما كان في السابق مبالغة للواقع قد نراه عند البعض اليوم تصغيرا مقصودا له ، والبطل الذي كان يصارع المردة والغيلان بحثا عن الفضيلة ، يصارع الآن المجتمع بحثا عن نفسه . والمخاطرات التي كان البطل يبحث عنها في البلاد النائية والآجام المريعة ، جعل يبحث عنها في شوارع مدينته ، بل وفي غرف بيته .

كانت القصة سلسلة من الحوادث يسردها المؤلف سردا يستطيع ان يستمر به الى ما لا نهاية ، ما دام بطله حيا . ثم مرت فترة كانت فيها سلسلة من الرسائل ، او المذكرات ، او سلسلة من المآدب والحوار . كانت احيانا ملأى بالمستحيلات الخيالية والرموز العجيبة ، ثم تجردت عن كل ذلك ، ونزلت الى المصانع ومساكن الفقراء لتصور البؤس والعوز . كانت تصور مظاهر الناس ثم تغلغلت الى ما يدور في عقولهم وبواطنهم . لقد اهتمت بواقع الحياة كما اهتمت بالاوهام التي ينسجها الانسان حول نفسه ليستطيع الاستمرار بالحياة .

واهمية كتاب « قصص من الادب الانكليزي المعاصر » الذي يقدمه لنا جبرا ابراهيم جبرا ، هي انه يصور فترة من فترات هذا التطور في فن القصة . وهي الفترة التي تبدأ بالواقعية ، امتدادا لواقعية اميل زولا في اواخر القرن الماضي ، وتنتهي بالسخرية ، المنطوية على النقد الاجتماعي والسياسي ، التي سبقت اتجاهات العنف الجديدة المتبلورة على ايدي الوجوديين .

وتتمثل الفترة في هذه المجموعة بابرز كتابها ، مبتدئة بجيمز جويس ، ومنتهية بالودس هكسلي . فقصة « صنوان » لجيمز جويس ، المأخوذة من كتابه «الدبلنيون»، تصور الرجل العادي (فارنغتون الموظف ، الذي يمثل ملايين الموظفين مثله) في المدينة الكبيرة . والمدينة هي احدى المواضيع المهمة في الادب الجديد . فهي هنا عالم يجتمع فيه الظالم والمظلوم في شخص واحد ، فلكل حشرة تنهش لحم غيرها ، حشرة تنهش لحمها هي : كل منها ناهشة ومنهوشة معا ... شوارع دبلن ، وحاناتها ، وموظفوها الصغار يقضون الليل في الشرب على حساب بعضهم البعض ، ويتندرون على رؤسائهم ، ويطيلون نظرات الشهوة الى نساء لا يتاح لهم حتى الكلام معهن ... وفي ثنايا كل منهم قسوة ستبرز حالما يقابلون من هم اضعف منهم .

وفي قصة « ابتسام » لد.هـ. لورنس ، جو غريب . ففي الدير ، في حضرة الراهبات الثلاث ، وكل منهن امرأة شديدة الانوثة على طريقتها ، وفي حضرة الزوجة الميتة في غرفة تضيئها الشموع ، يشعر « ماثيو » بكل ما لا يستطيع ذكره ، او الاشارة اليه ولو من بعيد . لقد تركنا مدينة جويس وزواياها المظلمة ، لنتوغل في نفسية ملأى بالمبهمات المظلمة التي تتوضح شيئا فشيئا الى ان تبرز اخيرا صورة لوحشة البطل وقد بدا في الرواق الطويل شخصا مجهولا تائها في طريق مهجورة . انها اغرب قصة في هذه المجموعة : واسلوب لورنس كثير الرموز والاستعارات التي تملأ نثره فتجعله اقرب الى الشعر .

اما قصة سومرست موام « الشاعر » فمن امتع ما قرأت له من قصص ، وامهرها حبكا . فهو كمن تتكلم فيسحر سامعيه ، فيستطيع حينئذ ان يغريهم بتصديق ما شاء لهم من وهم . وتلتقي هذه القصة بقصة « التركة » لفرجنيا ولف ، بأن في كلتيهما عقدة محبوكة ، ولكن حل العقدة في « التركة » تدريجي ، (على عكس القصة الاخرى) ، بحيث تأتي الذروة كاكتشاف قام به القارىء نفسه .

وفي قصة « الانسة بريل » لكاثرين مانسفيلد ، تعود الى المدينة ـ متمثلة في احدى حدائقها العامة . اما التائهة فيها هذه المرة ، فامرأة عانس تتشبث بخيالاتها ـ ولكن هناك في المدينة من يبدد خيالاتها بكلمة واحدة ، ويعيدها الى غرفتها لتسمع صوت البكاء من كل ما لا صوت له ..

واطول قصة في المجموعة ، قصة « المونوكل »لاولدس هكسلي . وهي انموذج مصغر لفن هذا القاص المفكر الضاحك اللاذع . ابطال هكسلي اناس مثقفون في الغالب يستطيعون التفكير ، ويستطيعون التعبير ، ولذتهم والمهم هنا في هذه الثقافة وهذا التفكير . وما غريغوري في قصة « المونوكل » الا صورة للاوروبي ، بكل ما يتصف به من ادعاء هو ادرى بفراغه ، واحساس بالجرم ازاء غيره ، وبخيبة

نهائية اذ يعجز عن تصيد المراة التي يشتهيها . وطريقة هكسلي تمتاز بالحوار المستمر ، الذي تمتزج فيه السفاسف والقضايا الفكرية ، العواطف المقنعة والعواطف الصريحة . فالحوار عند هكسلي هو الوسيلة التي يشرح بها المؤلف شخصياته .

وقد احسن الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا اختيار القصص وخلق بترجمته البارعة في كل منها جوا كالجو الذي نراه في الاصل الانكليزي . ومن الغريب ان هؤلاء الادباء الستة ، وهم اساطين الادب الانكليزي الحديث لم ينقل من ادبهم الى العربية الا ما هو اقل من القليل . بل ان هذه على ما اعلم اول مرة تترجم فيها قصة لجمير جويس او فرجنيا ولف أو كاثرين مانسفيلد أو د.ه. لورنس .

كل قصة في هذه المجموعة تحفة صغيرة . والمقدمات التي كتبها الاستاذ جبرا لكل منها ، على ايجازها ، اذاجمعت معا ، كانت مقالا في الفن القصصي في الادب الانكليزي الحديث في الفترة المهمة الواقعة بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣٠ . ولما كان الادب العربي يمر الان في طور تلعب فيه القصة دورا مهما ، فانه مما لا شك فيه ان في هذه المجموعة رغم صغرها اثراء للمكتبة العربية الحديثة .

بغداد **لميعة العسكري**

عبير

لسعيد فياض ــ ١٦٨ صفحة ــ مطبعة دار الكتب بيروت

في زحمة السوق الادبية الوافرة ، تضوعت انفاس «عبير» الشاعر الاستاذ سعيد فياض . فتفتحت الانوف الحساسة ، متلقفة هذا العبير بعد ان رنت العيون منذ سنوات خمس الى «براعمه» اللدنة الفتية .

والشعر في نظر الاخ سعيد هو المعبر عن « خلجات الحس في حروف تحمل اكسير الشعور المذاب على انغام تتأرجح فوق متون كلام موزون » . او هو « ظروف واحاسيس اما عن الظروف فلست اوافقه عليها ، ليكون شعره اقرب لشعر المناسبات واما عن الاحاسيس فهذه ظاهرة من طبيعة النفس الشاعرة الحساسة .

وكم هو جميل قول الشاعر المرحوم ابو القاسم الشابي حينما وصف الشعر لنا بقوله : «الشعر هو تصوير وتعبير» .

او كما قال مخاطبا اياه :

يا شعر ! انت فم الشعور وصرخة الروح الكئيب
يا شعر ! انت صدى نحيب القلب والصب الغريب
يا شعر ! انت مدامع علقت باهداب الحياة
يا شعر ! انت دم تفجر من كلوم النائبات

والشاعر سعيد تلفت نظرك في شعره وشخصه مظاهر عدة ، قد لا تجدها في غيره من بقية الشعراء .

هو انه خجل ، متواضع من ادبه وشعره . قد لحق فيه طبع الخجل منذ طفولته وشب معه في شبابه ... وهو مجيد بارع في ميداني النثر ــ والشعر ــ ولعل في طيات نثره ، ما تحسبه شعرا يرفعك الى رياض الجمال ، ويسمو بنفسك الى عالم الوجود ، ويناغيك بالحانه الرجبة الطربة الناعمة .

كما وانه يخشى النقد ، لا لضعف في شاعريته ، ولا لقصور في تصويره ، ولا لركاكة في اسلوبه ، ولا لغموض في افكاره ـــ بل لانني كما قلت ــ انه الخجل . وهو حالة نفسية لها جذورها منذ الصغر ومن اسبابها الخوف قد اثرت في اعماق نفسه الباطنة وعكست ذلك في شعره ، وتفكيره ، وفي آرائه واتجاهاته الفكرية . ثم انه شاعر متواضع لفنه ، لا يزدهيه الابداع الفني الذي تجده في طيات قصائده ومقطوعاته . يريد ان يخطو خطوات المجد بتودة وهدوء ، لا بقفزات وضجيج ، حتى قال مصورا نفسه اجمالا :

سموت عن الاحقاد شاني منزها عن الشر ، بين اليوم والامس والغد
فما انا والعذال الا كهالة من النور ، حلت في رؤى طرف ارمد

وفي مقدمة ديوانه التي ملاها فكرة ، وعرضا لحياته ، وتصويرا لوجدانه ، وهجوما على أصنام الادب الرخيص ، وتحطيما لعقول الرجعية البغيضة ، ودعوة قريبة الى مائدة شعره الفنية القادمة ، يرضي في قارئه ما تصبو اليه رغبته ، وما ترضاه نفسه . لعلمه ان في رضا القارىء « يكمن سر الوصول الى مقاصير الخلود » .

وما علينا الآن الا ان نعرف هذا الديوان ونعطي من براعمه المتفتحة ، وازاهيره المعطارة ــ بعض الروائح الزكية ، وبعض الصور الفنية التي يحويها جوهره ، ويشملها اطاره. يقسم الديوان الى المواضيع التالية بعد الاهداء والمقدمة :

سعوديات : وهي مجموعة قصائد اوحتها المناسبات ــ نقف عند « ثمل الطل » و « محروم » لنجد فيهما من جمال التصوير ما يجعلك تثني على الشاعر لدقة خياله ، ولطرافة ابتكاره .

قال في قصيدة « ثمل الطل » :

ثمل الطل في شفاه الاقاحي وهمى الطيب من جبين الصباح
فتلوت اشعة الفرحة الكبرى تلوي الالحان في الارواح
هاكها دمعة من اليتم والذل ولحنا مقرح التصداح

اما في قصيدة « محروم » فيقول :

تطلع نحو الافق ، يستنطق الشهبا ارضاه ربانا لكي يعبر الدربا
وقال لها : لا ارتضي المجد غاية باطرافه ، لكنني انشد القطبا
فتى ، لون الاقدام والعزم باسه واهدت له النعماء مندلها الرطبا
تحف به الامجاد من كل جانب فتوسعه لثما ، ويوسعها نهبا
اطل على الآداب اطلالة الندى على الزهرة الظمآى ، فما ستابه عجبا
واوغل في واحات « عبقر » قاطفا ازاهيرها الهيمى ، واطيابها العذبا
فران عليها من تهاويمه سنى ارق من الاشراق في نسم هبا

غزليات : وكلها حسان لا تتميز واحدة عن صويحباتها

منهن : نغم ، همسة الفجر ، شبح ، تضحك لي ، نهد يتحدى ، موعد في الظلام ، وفتاة البار ، ونداء ، نهم .

قال في « ذهول » :

ابصرتها ... والشمس لم تنتشر أنوارها بعد ... على المشرق
جذلى كانسام الضحى هزها شوق الى زهـر الربى المونق
هدهدهـا طيب تهاوى علـى مبسمها المستعذب الشيـق
ومقلتاهـا شعلـة مـن سنـى تـذر ذوب السحـر فـي المطلق
مشت فسار التيه في ركبها والنـور والاشـراق في المفـرق
وبعثـر العطـر علـى دربهـا منتـدبا عـن دولـة الزنبق

ومن قصيدته « نداء »:

لا تخف... واقترب .. فلست غريبا عن عيوني ، وانت منها السواد
ان طيفا ... تضمه العين وجـدا لا تواريه بالجفا .. ابعـاد
رب يوم . حسبته بعض عام مر والعـيـن ضج فيها السهـاد
كنت فيه على سراب الامـاني أتلوى والصبر عنـدي زاد
يتهـادى من ناظـري حنين لفـه بالسنى البهـي امتـداد
تلتقي فيه من بهـاك ظـلال زانهـا بالهـوى الوقور اتئـاد

اجتماعيات : والبارز منها : طريق الخلود ، حرمان ، خمرة الالم ، وطني ، مصرع النسر ، امتي ، اخفاق .
قال في قصيدته « طريق الخلود » :

انا اهوى العلى وارغب في العيش كريما ولست ارض الهوانا
ولو اني ارتضيت شأن المرائي وتبعت الضـلال والبهتانـا
لتراخت من النضار جيوبـي وجهـلت الالام والاحزانـا
ان جفاني صحبي وانكر فضلي زمن خانـع لهـا وتوانـى
حسب نفسي رضى الضمير وحسبي خلق ما تعود الروغانـا
ولئن فاتني الثـراء فاني اجد الحـق راضيـا جـذلانا

هذا ديوان (عبير) يعطيك من سلافه ما يجعلـك تعيش في عالم الشعراء الوجدانين . كابي القاسم الشابي ، وامثاله .

وان في مستقبل الايام القريبة ما يكشف لنا عـن شاعرية صاحبه التي تشير الى انسان احرقه الحرمـان ، وكواه الالم ، وكونت ذاته انامل الالهام وهو يحمل في يديه لوحة الفن الشعري ، وريشة الخلق والابداع .

ومتى استقرت الحالة النفسية في حياة الشاعر ، وبسمت له عن ايام بيض ، بها لمحات من الخير والاستقرار . عند ذاك نرى حناجر الشباب تنطلق باشعاره ، ونغمـات الالحان الموسيقية العذاب ، تلحن مقطوعاته ، لتنتشي نفوس عشاق الشعر الحي ، والادب الصافي .

بقيت هناك كلمة يريدها القارىء مني وهي كلمـة (النقد) الذي يصقل مواهب الشاعر ويدله على مواطن النجاح ، او الضعف في شعره . مع النماذج التي تشـير الى جودة نتاجه او غموض تعابيره .

اما الاول ــ وهو النقد ــ فقد قطع الناظم الطريق على الناقد حتى ولو كان صديقا ــ محبا ــ صريحا في نقده . خشية ان يقول صاحب « عبير » كما اثبت في مقدمته : ان ذلك « نقد هدام يتقنه حاسد حاقد ، ويجوده لائم غرير ، ويؤمن به قاصر مهيض » .

واما الثاني ــ وهي النماذج ــ فقد احترت في حسانه ــ فكل واحدة منها لها صفة من الجمال ، ولها ملامح مـن الرقة ، كما ان بعضها لها من الغش الذي لا يذهب مـن رونقها ، ولا يقلل من مكانتها . ولها من الهالات التي تستر البدور الطالعة ولكن لا تخفى ضياءها .

جامعة برشلونة ــ كلية الاداب **محسن جمال الدين**

الحب المحرم

للسيدة وداد سكاكيني ــ ٢٠٠ صفحة ــ دار الفكر العربي ــ القاهرة

صدر عن دار الفكر العربي في الشهر الماضي قصـة للاديبة المعروفة والقصصية الموهوبة السيدة وداد سكاكيني تقع في مئتي صفحة من القطع الوسط تعد بحق من انجح وافضل القصص الاجتماعيـة التي ظهرت في الادب العربي الحديث .

فهي طريفة الموضوع متينة الاسلوب سامية المعـاني مليئة بالصور الادبية الجميلة خالية من كل تبذل .

« الحب المحرم » : قصة فتاة وفتى متجاورين فـي المسكـن ومتقاربين في العمر ، آلف بينهما طلب العلـم وقرب بينهمـا الشغف بالمطـالعة فتبادلا الكتب والمجـلات وتباحثا في مختلف الابحاث والدروس فولد في قلبيهمـا حب فتي ما عتم ان انقلب الى حب عارم صامت تخفيـه الالسـن ويكتمه الحياء .

ولكـن ام الفتى فهمت ما لم يشأ الشابان ان يبوحـا به فيدفعها الحسـد والغيرة من بنت الجيران المثقفة المتعلمة ان تتزوج ابنها الطبيب ذا المستقبل الكبير فيكون نصيبهـا افضل من بنتيها الجاهلتين اللتين ما برحتا قابعتين فـي البيت ، يدفعها الحسد الى ان تحطم قلبين فتيين بريئين فتعلن لهما في ساعة من ساعات الحبور والصفاء ان الفتى سهيل وجارته الفتاة نديده هما اخوان في الرضاعة ! . .

ويصعق كل من سهيل ونديده لهذه القنبلة الهائلة التي فجرتها الام على حين غرة ولا يجرآن على منـاقشة هذا الادعاء خشية كلام النـاس واقاويل الاهل والجيران فيسكتان على مضض وفي قلب كل منهمـا حسرة ويحاولان اطفاء نار لا تشاء الا ان تظل مشتعلة رغم كل ما استعملاه في سبيل اخمـادها .

وهكذا تمضي القصة في تصوير الام هذا الحب البريء الصامت ، فيذهب الفتى الى باريس ليتمم اختصاصه فـي مهنة الطب وتنتقل الفتاة مع اخيها الى بلدة بعيدة فـي وطنها السوري لتمارس التعليم .

وينتقل القارىء مع كل من البطلين فيذهب تارة الى باريس ليشاهد حياة الفتى فيها وما يتقلب فيه من حنين

وسلوان بين الجد والعبث ويتحسس الام النفس الشرقية وما يصطرع فيها من نزوات الخير والشر .

وينتقل مع الفتاة الى مدرستها في بلدة دير الزور في سوريا ليشاهد حياة الفتاة ويتحسس بالامها النفسية ويرى قلبها يتنازعه واجب العناية بالتلميذات الموكول امرهن اليها والاهتمام بنفسها بعد قصة الرضاعة التي لم تقتنع بها ثم يعود سهيل الى وطنه ليجد اباه قد توفي منذ مدة تاركا له واجب العناية بعائلة كبيرة فينكب على عمله ليبني مستقبلا ويجمع مالا يصلح به وضع العائلة المالي بعد ان انفقت في سبيل تعليمه كل ما تملك .

وتعود نديدة لترحب بسهيل بعد عودته من فرنسا فتشعل حبا لم تكد تخمد ناره بعد ! ولكن قصة الرضاعة تعود لتفصل بين الاثنين .

وينصاع الطبيب الشاب المثقف لرغبة امه ويتزوج وفق ارادتها من فتاة جاهلة غير مثقفة بعد جدال طويل بين فضيلة العلم وضرر الجهالة . ولكنه زواج لا يعمر طويلا لانه ليس له اساس صحيح من التكافؤ المشروط في كل زواج فينتهي بالطلاق سريعا .

اما نديدة التي آلمها انصياع سهيل لرغبة امه عادت وفرحت لزواجه من الفتاة الجاهلة لتراه يتعذب ويشقى كما تتعذب هي وتشقى ، وعندما يعود اليها ليخبرها بقصة طلاقه تكون قد تزوجت من رجل ميسور كبير في السن .

ولا تشاء الاديبة المبدعة السيدة سكاكيني الا ان تختم قصتها بخاتمة طريفة شريفة المقصد تذكرنا بالاباء العرب المشهور ، اذ تمرض ام الفتى مرض الموت وتريد ان تريح ضميرها فتخبر ابنها انها اجرمت بحقه فقصة الرضاعة قصة مختلقة من اساسها !...

فيهرع الفتى الى حبيبته ولكنه يقف عند عتبة منزلها ويرتد راجعا ويمسك سره في قلبه خشية ان يهدم حياة زوجين اقاما عائلة واسسا بيتا .

ويعود الى عيادته قانعا من حياته بخدمة مرضاه وعازفا عن الزواج من اي امراة .

قصة ممتعة شيقة تنتقل فيها من مشهد الى مشهد ومن حادثة الى حادثة انتقالا هينا سهلا فهي في مجملها صور واقعية صادقة تجري حوادثها في حياة الطبقات الشرقية المحافظة بين الرجل وزوجته ، وبين الاب وابنه والام واولادها والجارة وجاراتها .

الا انه كم يتمنى القارىء من السيدة سكاكيني عندما تصادفه بعض الكلمات الغريبة الاستعمال التي قد تخدش الاذن احيانا : امثال اساتيذ سراويلات ، وصاة روشتها ، كم يتمنى القارىء لو تقلع السيدة سكاكيني عن هذه العادة التي تميزت فيها في كتاباتها السابقة كما في هذه القصة فستبدل امثال هذه الكلمات بما يماثلها معنى ومرمى على ان تكون ارق والطف وقعا .

ولولا بعض الاطالة في بعض مواقف الجدال الذاتي واصطرع النفس بين نزعاتها المتقاربة التي اكثرت منها المؤلفة ولولا بعض الحوادث التي حشرت حشرا كترهب صديقة سهيل الباريسية ومجيئها الى القاهرة في مصر وذهاب سهيل الى القاهرة واجتماعه بها صدفة هذه الحوادث التي يظهر تكلفها وتعمدها دون عناء لجاءت هذه القصة خالية من كل شائبة .

طاهر دارغوث

الفنان في المجتمع المعاصر

L'Artiste dans la Société Contomporaine

منشورات اليونسكو – ١٧٠ صفحة – باللغة الفرنسية

يذكر القراء ان مؤتمرا دوليا للفنانين عقد في البندقية في سبتمبر عام ١٩٥٢ وحضره مندوبو ٤٤ دولة جميعهم من صفوة الشعراء والكتاب والمسرحيين والسينمائيين والرسامين والمثالين والمصررين وغيرهم من قادة الادب والفن في العالم . واليوم تصدر اليونسكو اعمال هذا المؤتمر في كتيب يحمل عنوان (الفنان في المجتمع المعاصر) . ويستطيع القراء ان يقفوا من هذا السجل الصغير على آراء ممثلي الفنون والاداب في ذلك المؤتمر ، ونذكر من هؤلاء الكاتب طه حسين والشاعر اونجاريتي والكاتب المسرحي مارك كونللي والرسام روولت ، وهي اسماء تكفي وحدها لبيان قيمة هذا الكتيب الذي يتضمن دراسة وتحليلا للمشكلات الكبرى التي تعترض حياة الفنان وحريته بل تعترض الفنون في العالم المعاصر .

كما يعرض هذا الكتيب نتائج المناقشات التي دارت في المؤتمر كما سجلتها التقارير التي قدمها سيلفيو داميكو واشلي دوك بشأن المسرح ، وبيير جريجوار بشان السينما، وجيوم لاندريه بشان الموسيقى ، وهنري ريجلر بشان الادب ، وجاك فيون ولانجليكو بشان الفنون التشكيلية . والكتاب بعد هذا يسجل آراء بعض هؤلاء الفنانين العالميين في ذلك المؤتمر الدولي الذي يعتبر الوحيد من نوعه في تاريخ الفنون ، والذي شاءت اليونسكو بعقده ان تدرس مع رجال الفن في العالم الاسس التي تشيد صرحا لهم والاسباب التي تكفل حريتهم الفنية في المجتمع المعاصر .

تدريب مدرسي المدارس القروية

La Formation des maitres ruraux

منشورات اليونسكو – ١٦٤ صفحة – باللغة الفرنسية

ان اكبر مشكلة حيوية يواجهها التعليم هي افتقار المدارس الى مدرسين مدربين ، وينطبق ذلك بوجه خاص على المناطق القروية في العالم التي ما زال يعيش فيها السواد



● سحر لبنان ـ تاليف ميشيل سليم يمين ـ مع تصدير بقلم حسن كامل الصيرفي ـ ٢٥٤ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر .

● ثائرون ـ مجموعة قصص ـ بقلم محمود تيمون ـ ٢٢١ صفحة العدد ٤٦ من كتاب الهلال ، وهي سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال بمصر .

● العلم الحديث والانسان الحديث ـ تاليف الدكتور جايمس ب كونانت الرئيس السابق لجامعة هارفرد ـ ترجمة عفيف البعلبكي ـ ٩٨ صفحة ـ منشورات دار الكتاب ببيروت .

● الشرق والغرب ـ كتبه الفقيد الدكتور احمد امين ـ ١٦٤ صفحة نشرته اخيرا مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون ـ تاليف محمود الملاح ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● جنحة في قرية ـ تاليف شفيق الفقيه ـ ١٢٢ صفحة ـ مع عدة لوحات بريشة المؤلف ـ المطبعة التجارية ببيروت .

● الاخصاب والحبل والولادة ـ تاليف جي . دي . راتكلف ـ ترجمة الطبيب البيطري توما شماني ـ احدث الاكتشافات عن العقم والتكهن بجنس الجنين والتحكم به والولادة بلا الم... الخ ـ ٢٥٠ صفحة ـ سلسلة كتب العائلة ـ مطبعة الرابطة ببغداد .

● اراء غربية في مسائل شرقية ـ تاليف الفقيد عمر فاخوري ـ ١٤٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت .

● هذا مذهبي ـ باقلام نخبة من الشرق والغرب ـ اشرف عليه الدكتور طه حسين ـ ٢١٠ صفحة ـ العدد ٤٨ من كتاب الهلال نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة ـ دار الهلال بمصر .

● المثل الاعلى جعفر بن محمد ـ تاليف خليل رشيد ـ ١١٠ صفحة ـ حجم صغير ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف العراق .

● تشريح لشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ـ تاليف محمود الملاح ـ ٩٨ صفحة ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● ثلاث شفاه ـ تاليف محمد حاج حسين ـ ١٢٥ صفحة ـ حجم صغير ـ سلسلة مختارات من الادب العالمي العدد ٣ ـ منشورات دار ابن المقفع بدمشق .

● ابن فرجينيا ـ تاليف اوين وستر ـ ترجمة الدكتور محمد عوض محمد ـ ٤٦٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ دار المعارف بمصر .

● اعلام الادب العربي في عصر بني امية ـ تاليف محمد عبد المنعم خفاجي ـ الجزء الاول ٢٢٨ صفحة ـ الجزء الثاني ١٥٦ صفحة ـ وهما من الحجم الكبير ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

● قصص الحمراء ـ تاليف واشنجتن ارفنج ـ ترجمة ابراهيم الابياري ـ مراجعة ابراهيم زكي خورشيد ـ ٢٨٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ دار المعارف بمصر .

● الاسلام الحي ـ تاليف الفقيد الدكتور احمد زكي ابو شادي ـ قدم له ونشره رضوان ابراهيم ـ ١٢٦ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

● كويت وكويتيون دراسات في ماضي الكويت وحاضرها ـ تاليف راسم رشدي مندوب « اليونايتدبرس » السابق في الكويت ـ ١٣١ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الرهبانية اللبنانية ببيروت .

● الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ـ تاليف جورج شهلا استاذ في العلوم بيروت واستاذ في العلوم لندن احد اساتذة التربية في الجامعة الامريكية ببيروت ، وعبد السميع حربلي استاذ في العلوم بيروت ودكتوراه في التربية نيويورك اخصائي ببرنامج التربية في اليونسكو باريس ، والسيدة الماس شهلا حنانيا بكلوريوس في العلوم بيروت وشهادة ودبلوم في التربية لندن ـ ٥٩٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● ليل الشتاء وقصص اخرى ـ تاليف يوسف حبشي الاشقر ـ ١٤٣ صفحة ـ منشورات دار المكشوف بيروت .

● اكثر من قلب واحد ـ شعر ـ لشوقي بغدادي من رابطة الكتاب العرب ـ مزين بلوحات بريشة رضوان الشهال ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات دار الفكر الجديد بيروت .

● انصاف مخلوقات ـ تمثيلية اذاعية ومجموعة اخرى من القصص قدم لها عميد القصة العربية محمود تيمور ـ ١١٢ صفحة ـ طبع في دمشق .

● احلام الشباب ـ مجموعة قصص ـ تاليف فاضل خلف ـ ١٠٨ صفحة ـ منشورات مكتب الكويت للدعاية والنشر بيروت .

● على ضفاف السراب ـ مقطوعات منثورة ـ تاليف ابراهيم مجاهد الجزائري ـ ١٤٩ صفحة ـ مطبعة الضاد بحلب سوريا .

● هيروديا ـ مسرحية شعرية في ثلاثة فصول ـ تاليف يوسف الخال ـ ٨٨ صفحة ـ مطابع جريدة الهدى في نيويورك .

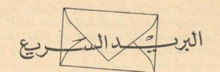
● ابن الرومي ـ تاليف محمد عبد الغني حسن ـ ١١٢ صفحة ـ العدد ١١ من سلسلة نوابغ الفكر العربي ـ منشورات دار المعارف بمصر .

● المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية ـ تاليف ك.س. تويتشل ومساهمة ادوارد ج. جورجي ـ ترجمة شكيب الاموي ـ تصدير بقلم الشيخ حافظ وهبة سفير المملكة العربية السعودية بلندن ـ ٣١٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مع رسوم وخرائط ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر ـ دار احياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة .

● مؤتمر الشهداء ـ المؤتمر الذي اذاع الاماني القومية وجر اعضاءه الى المشانق ـ بقلم عصبة من الكتاب الاحرار ـ مهد له يوسف ابراهيم يزبك ـ ١٨٠ صفحة ـ منشورات جريدة اليوم ببيروت .

● الشعر العربي في المهجر الامريكي ـ تاليف وديع ديب ماجستير في الادب العربي ـ ١٦٠ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر ببيروت .

● Contes et Légendes du Liban - par René R. Khauram - 256 pages - Collections des Contes el Légendes de tous les Pays - Fernand Nathan, Editeur - Paris.



● الى قراء الاديب وكتابها واصدقائها

تعرضت الاديب لعملية تجسس وتخريب واسعة النطاق ابتداء من اول العام الحالي . وانقسم هذا العمل التخريبي الى قسمين :

محاولة اتلاف اعداد المشتركين والمبادلات والاهداء ، وتناولت هذه المحاولة عددي مايو ويونيو ، غير اننا تمكنا من اعادة تامين ارسال الاعداد ، فوصلت اعداد مايو ويونيو الى اصحابها في بريد واحد .

وتناولت عملية التجسس والتخريب ، ابتداء من اول العام الحالي ، الاستيلاء على اكثر الرسائل الواردة الينا ، ومنها مقالات الكتاب ورسائل المشتركين والاصدقاء وغيرها التي ارسلت بالبريد العادي اي التي لم ترسل الينا بالبريد المؤمن عليه . كما تناولت ايضا الاستيلاء على الرسائل الصادرة منا على اختلافها .

لذلك نرجو المعذرة الى جميع الذين كتبوا الينا ولم يتلقوا الرد الذي ارسلناه . وسنحاول سريعا اعادة كتابة هذه الردود وارسالها .

غير اننا نرجو ايضا من الذين كتبوا الينا ان يتكرموا بتنبيهنا الى ذلك ولهم الفضل والشكر .

● من السيد احمد فياض المفرجي ـ بغداد ، العراق

قرأت في عدد مارس من الاديب رد الاستاذ سليمان موسى على الاستاذ سالم علي سالم وقوله بانه لا توجد قاعدة ثابتةلحروف الظاء ، وأود ان اقول له ان كلمات الظاء قليلة جدا وقد أهتم بها اللغويون ووضعوا معجما خاصا بها ، فاذا شاء الاطلاع عليه بعثته له اذا طلب ذلكفي « البريد السريع » مع ذكر عنوانه .

● من السيد جعفر فخر الدين ـ البصرة ، العراق

يقول ان قصيدة الاستاذ سعدي يوسف المنشورة في عدد مارس تحت عنوان «احبك» تكاد تكون في فكرتها مطابقة تماما لقصيدته «دعوة» المنشورة في عدد يناير . وهو يتساءل عن السبب في هذا التكرار .

● من الاستاذ عبد اللطيف جبارة ـ البرازيل

لقد اصبحت « الاديب » بحق المدرسة التي يتلقى عنها الشعب العربي تربيته العلمية اذ هي تهتم اكثر من غيرها بنشر الثقافة العميقة فترى الوان شتى من المعرفة على صفحاتها ، على الرغم من موجة المادية التي عصفت بروح المجلات فقد حافظت الاديب على مكانتها فاصبحت مجلة كل عربي في كل قطر ومهاجر . فلكم اخلص التهاني .

● من السيد احمد فياض المفرجي ـ بغداد

كلمة ثناء واعجاب بقصة « فتاة المرقص » للاستاذ شاكر خصباك المنشورة في عدد ابريل من الاديب . يقول فيها : انها قصة عميقة تصور قضية من واقعنا العربي تصويرا رائعا . واني اعتبر الاستاذ شاكر خصباك من اقدر كتاب القصة في العراق .

● من الاستاذ نور الدين حمود ـ تونس

لقد تساءلنا كثيرا عن تغيب قصائدكم الرائعة عن صفحات الاديب بعد ان كانت تطل وتشرق علينا من وقت الى آخر ، فلمن تكتب الان يا صاحب « لمن ؟ » نحن هنا نهيب بك للعودة الى اتحافنا بشعرك . وانا اتساءل بهذه المناسبة عن خالد الشواف الشاعر العراقي وكم اود ويود معي الكثيرون ان نراه ينشر قصائده على صفحات الاديب ، كما ارجو افادتي عن عنوانه في باب البريد السريع .

● الى الاستاذ روكس بن زائد العزيزي ـ عمان ، الاردن

نعتذر عن نشر الكلمة التي تلطفت بها « حول قصيدة الطين ـ شكوى ، اسف ، عتاب! » فما نشر حتى الان من أخذ ورد وتعليق فيمختلف الصحف والمجلات هنا وهناك وفي اميركا فيه الكفاية .

● من السيد عيسى اسماعيل طه التكريتي ـ تكريت ، العراق

لقد نشرتم في مجلة الاديب عدد ابريل ، باب مكتبة الاديب عن كتاب « كتالوج للنسخ الملونة للوحات الفنية » فارجو افادتي عن اسم الكتاب المذكور باللغة الانجليزية وأين يباع وما هو ثمنه ؟

ـ اسم الجزء الاول من الكتاب :

Catalogue of Colour Reproductions of Paintings Prior to 1860.

ـ واسم الجزء الثاني من الكتاب :

Catalogue of Colour Reproductions of Paintings 1860 To 1952.

ومن من منشورات اليونسكو في باريس ، وتطلب هذه المنشوراتفي العراق من : Mc Kenzie's Bookshop — Baghdad.

ومن المكتبة المذكورة يمكنكم الاستعلام عن ثمن الكتاب .

● من السيد سامي محمد الوقف ـ المنصورة ، مصر

لقد نصحني الاستاذ سلامة موسى بان اقرأ مجلتكم الاديب لتنضج ثقافتي واتحول من القصور الى النضوج بحسب تعبيره . فارجو افادتي عن طريق الاشتراك لمدة سنة وطريقة التحويل . واخيرا اهنئكم بثقة كاتب كبير فيكم مثل سلامة موسى .

ـ توزع الاديب حاليا في القاهرة بواسطة شركة فرج الله للمطبوعات . وسنحاول في القريب تامين توزيعها في جميع المدن المصرية الكبيرة . لذلك نرجو الانتظار قليلا لتتمكنوا من الحصول عليها من الباعة ، فقضية الاشتراك كثيرة التعقيد بالنسبة لتحويل النقد من مصر الى الخارج .

● الى كتاب « الاديب »

الرجاء الكتابة بخط واضح مع تنقيط الكلمات ، فان عامل المطبعة كما لا يخفى عليكم قد يجد صعوبة في قراءة الكلمات التي لا تكون واضحة وضوحا تاما ، ومن المستحسن كتابة المقالات على الالة الكاتبة وعلى وجه واحد . ونؤكد ان المقالات التي ترسل الى الاديب لا تعاد الى اصحابها نشرت أم لم تنشر .



الدكتور احمد زكي ابو شادي في مهرجان تابينه

•

احنوا رؤوسكم ايها الادبـاء (١) ، فقد سكت صوت اديب جهير ملا الدنيا درا منثورا وحكمة مستقرطة. احنوا رؤوسكم معشر الشعراء ، فقد تقطعت اوتار قيثارة كثيرة النغمات انشدت على الملا اناشيد الحريـة والحب والحق والعدل قرابة نصف قرن .

احنوا رؤوسكم ايها العلماء ، فقد طوى الموت علما من اعلامكم ، وعميدا من عمدائكم خـدم الطب وخـدم الانسانية وخدم مملكتي الحيـوان والنبات وخدم البحث العلمي دون ان يستشعر كلالا او مللا .

احنوا الهامات يا طلاب المثل العليـا والاهداف الانسانية النبيلة ، فقد مات احمد زكي ابو شادي ، الانسان الذي تغنى بالحرية من كل منبر ، وترنـم بالحب على كل فنن ، واشاد بالخلـق والفضيلة مـن كـل مرتقى صعب ، وجاهد وجالد وصابر ليجعل الانسانية عامة والجماعة التي حوله على وجه خاص اسرة دعائمها الوشائج الوثيقـة ورباطها التآزر والتكاتف ، ودينهـا نصرة المبادىء ورفع الوية الفضائـل وهدفها اسعاد المجتمع واعلاء شـأن البر .

كان ابو شادي طالبا في حياته منذ دلف الى المعهد طفلا حتى خرج مـن الحياة شيخا يتوكأ على ثلاث وستين سنة من سني الجهاد العنيف . كان طالب طب ، وطالب علـم ؛ وطالب معرفة ، وطالب فلسفة ، وطالب مثل عليا هي جماع هذه . فقـد اراد ان يخدم الانسانية من جميع زواياها ، فارتدى مئزرة الطبيب وامسـك مبضعه وانبوبه وجند نفسه فـي موكب المطببين المعالجـين الاساة .

واراد ان يخدم الادب ، فاستجـاب لدوافعه الكامنة في دخيلة نفسه ، وانساب وراء خياله ، وفتح العقـل والقلب لمصادر الالهام ، واستجمـع عدة الاديب وعدده ، فسرعان ما برز في حلبة الادب سريع الخطو واسـع الخطى ، ينتج في الزمن القليل ما لا يقوى عليه غيره في ازمنة تطـول وتستطيل . واراد ان يطرق ابواب المعرفة جميعا ، فعكف على الفلسفة يرد مناهلها ، وعلى التاريخ يستنبط مراحله ودروسه وعبره ، وعلى الفن يرود ميادينه بريشته الصناع وذوقه المبدع المبتدع ، وعلى الدين ينقيه مما علق به من اوشاب ويستهدي مبادئه في حياته ومعاملاته . ثم طلب المثل العليا وركض وراءها ركض العـداء اللاهث ، او الغواص المثابر ، لا ينشد لنفسه فوزا يستأثر به ، بل ينشـد للانسانية خيرا يصيبها وسعـادة غامرة تملأ جوانحها .

فلما ضاقت الآفاق امام هـذا الانسان الطموح العريض الامال ، ابى ان ينتقض على مبادئه او ينتقص من معاييره ومقاييسه ، وابى ان يحارب الناس باسلحتهم وآثر الهجرة الـى عالم حسبه منه حرية ملهمة ومنابـر عالية يرتقي اعوادها فيصيخ له الناس مبهورين بعلمه ماخوذين بسعـة صدره وافقه ، معجبين باصالتـه وتجديده حامدين له شمائله الفـر وانسانيته التي سما بها عن سفاسف الارض .

ومنذ استقر ابو شادي في بلاد المسيسبي ، ظل كدابه ابدا ، يتغنى بالجمال وان خلت الدنيا من جمـال ، وبالحرية وان راى شعوبا كثيرة ترزح تحت ويلات الاسار ، وبالحـب وان راى الحقد فـي الناس فاشيـا ، وبالاخلاق وان داسها الناس بماديتهم وصلفهم ، وبالمثل العليـا فهي اغنيته الخالدة التي لا ينفك يدعو اليها مفردا صداحا .

نسي ابو شادي نفسه ، ونسـي اهله لا عن جحود بل عن نكران ذات ونسي شؤن معاشه وحياته ومستقبله ومستقبل بنيه ، ولكنه شغل نفسه بامور الانسانية جميعا ، يهتز طربا اذا استقل شعب بينه وبينه آلاف مـن الاميال والفراسخ ، ويثور غضبا اذا اغتال الاستعمار داعية للحرّية ويغمره شعور اصيل صادق بالبهجة اذا حل عيد حبيب الى نفسه كعيد النيروز ، وينفعل حتى تخنقه العبرات حيـن ياتيه نبأ اعدام حسين فاطمي فـي ايران ، ويملأ الدنيا نشيدا حين يبلغه نبأ الجلاء عن مصر ، فاذا عرف مـا اصاب العروبة من تفكك وانحـلال قام داعيا الى الوحدة ولم الشمل .

فقد كان ابو شادي يعيش فـي دوامة الحياة ، صوته مرفوع وبنده منشور ورايه معلن في مجاهرة . فلا غرو ان نترقب من وراء البحار صدى حياتنا واحداثنا يأتينا مباشرا سريعا خالصا مخلصا بليغا مبينا من شاعر ذي وجدان وايمان ومثل هو استاذنا

(١) اقامت رابطة الادب الحديث بالقاهرة حفلة تذكارية كبرى للفقيد الدكتور احمد زكـي ابو شادي اشترك فيها كثير من الادباء وقد نشرنا في صفحة ١٢ من هذا العدد الكلمة التي القاهـا الاستاذ رضوان ابراهيم ثم تلقينا بعد ذلك الكلمات التي القاها الاساتذة وديع فلسطين ، محمد عبد المنعم خفاجي ، وعبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح في نيويورك فراينا ان نجمعها في جولة الاديب لزيادة الفائدة وحتى لا يتاخر نشرها الى العدد القادم [الاديب] .

البر الرفيع المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي . فقد كان كالمرآة تنعكس عليه مشاعرنا بصدق خلاب اخاذ ، وتتمثل فيه امنياتنا بحسن الاعراب عنها والمنافحة في سبيلها .

وكم كافح ابو شادي — وهو على الشط الآخر — مستنكرا الطغيان والفساد حتى كوفيء بالجحود من اهله ومواطنيه وبالتقدير والتكريم من صفوة العقول المفكرة والمدبرة في العالم الجديد ومن وراء البحار .

ذهب ابو شادي الى امريكا يجر ساقيه ، فلم يكن يروم ان يهجر وطنه الى غيره من الاوطان . ولكنه جعل لمصر في امريكا وطنا ثانيا ، فجمع حوله كوكبة من ادباء الطليعة ملأ صدورهم اعجابا بمصر وادب مصر ومشكلات مصر . الادباء جمع شملهم في «رابطة منرفا» ؛ ودعاة الانسانية شاركهم في « رابطة حقوق الانسان » واهل السياسة عاونهم في « المؤتمر الاسيوي » . وكان بيته ومكتبه كعبة يحج اليها العرب جميعا كلما حلوا نيويورك اولا ثم وشنطن اخيرا .

وصارت الصحف الادبية والعلمية والجامعات الامريكية والاذاعات العالمية تعنى بادب مصر الحديثة وشعرها وفكرها ، وكل هذا بفضل رجل واحد ولكنه رجل ، ذو علم وذو خلق وذو استقامة ، هو الرائد المجلى والمفكر الحر العظيم الراحل الكريم الدكتور احمد زكي ابو شادي .

فاذ نبكيه اليوم ، فانما نبكي فيه هذه الفضائل مجتمعة . نفتقد صوته الحبيب الحنون ، ورايه السديد السليم ، وادبه الاصيل المجدد ، وضميره الحي اليقظ ، وارشاده الحكيم الرفيق ، ونفتقد اخا عزيزا واستاذا بارا وناصحا امينا وموجها راجح العقل .

ان ابا شادي لن يموت ، وذكراه اخلد من ان تمحوها تصاريف الدهر. فقد كان رجلا يعرف معنى الانسانية الحقة ويعرف كذلك معنى الكلمة . وما دامت هناك انسانية وما دام هناك كلام مطبوع او منشور او مذاع ، فستبقى ذكرى ابي شادي تصاول الايام وتطاول البلى وستبقى صفحته بيضاء ناصعة ، تشرق بمعاني الوطنية والحرية والجمال والحب والفضيلة والحق ، وان شئت الايجاز فقل الانسانية في ابهى حللها وصفاتها .

القاهرة **وديع فلسطين**

النجم الذي انطفا

●

روائع الفن امات الفن والعيد
وماتت اليوم في الجو الاناشيد
انت اليتيمة والاحرار شانهمو
شان اليتيم ، فلا شاد ولا عيد

نعم مات الفن الحر ، والشعر الاصيل ، وغربت العبقرية الموهوبة ، ومات ابو شادي ، وقد كان ملء السمع والبصر ، ولكنه لم يمت ، فانه حي في ضمير مصر والعروبة خالد في تاريخنا الفكري والادبي .

مات ابو شادي بعد ان ترك في الحياة دورا لا يزول صداه ، وخلف للوطن مجدا لا تمحى آثاره .... بعد ان حمل على كتفيه اعباء الكفاح من اجل مستقبل الفكر والثقافة والادب خمسين عاما طوالا ، فما لان له عود ، ولا وهنت له قناة .

مات الشاعر الثائر والكاتب الحر ، والناقد النابه، والمفكر الرائد،والطبيب المرموق ، لقد كان طيب الله ثراه ، جيلا كاملا من العظمة والمجدوالموهبة التي لا تني تبتكر وتنير للانسانية طريقها بين الصخور والاشواك والظلام

وكان صورة مشرقة زاهية للفكر المصري المتحرر المتوثب ، وقد لايكون في تاريخنا الفكري المعاصر منخلف ما خلفه ابو شادي من آثار ادبية وفكرية عالية .

ولقد عاش طول حياته يناضل نضال الابطال الاحرار من اجل مصر والعرب ، مصر التي اخلص حياته وفنه ، والعروبة التي دافع عن حقوقها وامجادها ، اليس هو القائل :

ان الكنانة والعروبة حلتي
دين يوحده الوفي العابد
فلوطني روحي وكل جوارحي
ولكم حنيني والشعور الماجد
يكفي لنا النسب العتيد مجمعا
فجميعنا صيد رماه الصائد

وقصائده في الدفاع عن حرية العالم العربي ، وفي تأييد حقوق شعوبه ، تسجل لنا احاسيسه الوطنية الرفيعة . فلقد ناضل في مصر بدكتاتورية القصر والاحزاب ، وحارب الطغيان والفساد ونادى بالقضاء على الاقطاع ، كما نادى بالجمهورية .

ومنذ عام ١٩٢٦ وهو ينادي بانشاء جامعة الاسكندرية وجامعات اخرى، وبآراء جديدة في عالم النحالة والاقتصاد والزراعة ، كان لها اثرها في حياتنا الاقتصادية .

ومع سيادة النزعة القومية والوطنية في ادب ابي شادي ، تبدو فيه كذلك آثار النزعة العلمية ، والنزعة الانسانية الرفيعة التي لونت حياته وادبه وشعره بالوان مشرقة من الحب والاخاء الانساني ، وما اجمل ما يقول عن نفسه :

ان كان للوطن العزيز رعايتي
فلدولة الانسان عهد ولائي

ولم يكن لابي شادي هدف واحد ، بل اهداف ، ولم يحي في الاغلال والقيود ، وانما عاش طليقا حرايومئذ بحرية الوطن والعروبة ، وبحرية الفكر والادب والنقد والفن ، ويكافح من اجل التحرر العقلي والثقافي ويذيع آراءه في مجلاته وكتبه العلمية والادبية ، وفي قصصه ومسرحياته الشعرية ودواوينه ، ودعواته للتجديد في الادب والشعر تراثخالد في ادبنا الحديث .

وعاش يدعو في الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد الى التحرر والثورة على خصوم التقدم ، مرددا :

واني على ضعفي لرائد بيئتي

جريئا اوافيها بحبي وايثاري

ويدعو في الادب الى الاخاء الانساني،والى الاخلاص والديموقراطية والوحدة ، وخدمة الفكر والايمان بالمثالية . ويدعو في الشعر الى الاصالة والفطرة والموهبة ، والى الوحدة التعبيرية ، والتناول الفني السليم للفكرة والمعاني والموضوع ، والسمو المثالي المستمد من فكرة التقدم والانسانية محاربا القيود والصنعة والتكلف والابتذال :

لا خير في الشعر تطريبا ونظرية
ومحض زهو بالحان والوان
وما الخلود لفن لا تسود به
روح الجمال دنايا العالم الفاني

وقد عمل طول حياته على انصاف الشعراء ، وخاصة المغمورين منهم ، ونوه بالادب العربي الحديث في شتى البيئات الادبية العالمية عامة ، وبيئات الاستشراق خاصة ، وانشأ مدرسة ابولو ومجلتها الشعرية التي كانت درة في تاريخنا الادبي المعاصر .

ودواوين ابي شادي الثلاثة والعشرون وقصصه ومسرحياته الشعرية العشرة درة متألقة في جبين الشعر المعاصر ... وفيها روائع من القصيد لم تجد بها قريحة شاعر .

هذا هو ابو شادي الذي نكرم اليوم ذكراه ، والذي مات مهاجرا غريبا في وشنطن حيث كان يكافح من اجل حرية الفكر وحرية بلاده التي احبها من اعماق قلبه .

ومن العجيب أن يهاجر الشاعر الى العالم الجديد في الرابع عشر من ابريل عام ١٩٤٦ ، وان ينشر نعيه في مصر والعالم في الرابع عشر من ابريل سنة ١٩٥٥ ، حيث كان قد مضى على وفاته يومان ، وحيث كان قد صلى عليه في مسجد واشنطون ، ورقد رقدة الابدية في مثواه الاخير .

القاهرة محمد عبد المنعم خفاجي

ابو شادي الفنان

•

مات الدكتور احمدزكي ابوشادي. مات رجل عرفته وما عرفته. فلقد خبرته فيه نبوغا لم يقف عند حد بل كان نبوغه يرفل في كل اجتماع بثوب جديد لماع .

ويخطيء من يقول انه عرف ابا شادي معرفة تشمل كل نواحي ادبه فلقد كان في حياته موسوعةادب هو نفسه لم يكن ملما بكلمحتوياتها ومجموعة اخلاق تتفرع كلما احتك صاحبها بتقلبات الزمان .

تبارك ادبه وتباركت روحه — ادب وروح يحملان كل متامل على تمجيد الخالق سبحانه في اعماله الظاهرةفي رسالاته المتعددة على عدد امثال فقيدنا الكريم .

عرفته بل خلت اني عرفته قبل اجتماعنا ، قبل ان جاءنا مهاجرا ناقما على مخالفات لقلبه وضميره ونفسه اعترك معها حينا طويلا في بلده . في ذلك الزمان عرفته بقصائده التي كانت تظهر باسمه في صحف مصر — قصائد طويلة تختلج ابياتها بروح غفور وبعطف انساني وفير ، فشهدت عندها شاعرا بارع اليراع ، حاضر الخاطر متقد القريحة ، وثابة جسورا حينا ، وحينا سمحة بعيدة الخيال تستنزل الدراري من الملأ الاعلى فيصوغها آيات محكمة باجمل المعاني وامتن المباني .

ولما اجتمعنا في نيويورك رايتني في ختام اجتماعنا اني كنت فيحضرة رجل ملهم الا انه احيط بغلائلالحيرة والاضطراب والهم . فقد ادركت بعد ايام مضت على اقامته في نيويوركانه في حالة صراع نفسي لانه اصبح في بلد غريب يجب فيه عليه ان يجعله وطنا له ولعائلته وان يحبه كما احب مصر وان يؤلف فيه وطنا عربيا يغذيه بادبه العربي ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وعرفت فيه منذ ذلك الحين رجلا جمع الى الادب والفنون اخلاق انسان وقلب انسان وضمير انسان نفخ الله فيه نسمة من روحه ، مودته صافية محبته نقية ، يميل الى الادب دون ما عداه من ميل الى حطام الدنيا فيشجع الضعيف ليتقوى ويستزيد القوي فرحا بنتاج غيره فرحه بخير ما انتج ويشيد بآثار النابغين ويحض على مطالعتها في كل حين .

ولزمته ولزمني صديقين يسعدكل منا بلقاء الثاني وفي كل يوم كنت اشعر بازدياد توثيق العلاقة الروحية الادبية بيننا . وفي كل يوم كنت ارى ابا شادي متجددا يتبدى ليبعلم جديد او بفن جديد حتى اعجزني بالتفكر بانتهاء انواع ثقافته الادبية الروحية .

هذا عبقري حقيقي ، ولا كمن يقال عنهم عباقرة تلقينا في المجاملة او يشار اليهم بهذا اللقب مغالاة في المشايرة .

وان ذهلت مرة لوفرة في علوم احد وفنونه فقد ذهلت مرات عديدة بما خبرته من ابي شادي وكنت كل مرة احار في امره فاسائل النفس : ترى اهو من جماعة بحن جاء الى عالمنا ليذهلنا بوفرة محتويات نفسه ؟

احمد زكي ابو شادي : عالم في العلوم . في النثر والشعر . في الاقصوصة . في التاريخ . في الطب . في البكثيرية . في التنحيل . في اللغة . في آداب الشعوب . في الاسلام وغيره من الاديان . شاعر في الانكليزية كما هو شاعر في العربية .

سمعته بالتليفون ذات يوم ملحا علي بقضاء السهرة معه ولم يكن سهلا على نفسي مخالفة طلب له مني وهو في المطالب اقل من عرفتهم من الناس .

وقصدت المكان في اعلى مدينة نيويورك فدخلته فاذا فيه دكتورنا وقرينته الفاضلة . واذا انا في محترف فني مزدحم بالرسوم الفنية الملونة ذات الاشباح المتوثبة للنطق والافصاح عن منازلها في عالم التفكير والتخيل الواسع المدى البعيد الافق ولكنه متوهج الالوان والارواح .

ما هذا ؟ امحترف لاحد مشاهير الرسامين الفنيين ؟ ولمن ؟ طرحت سؤالي فيما شغلت عن طلب الجواب عن تسآلي بالتطلع الى الرسوم لاستجلائها وتعليل بعضها ودرس اخيلتهاومواضعها من المعاني والمبادىء الكامنة وراء الخطوط والاشباح .

وانا ان لم اكن رساما فنانا فاني من عشاق فن الرسم الذي اولعني به منذ الشباب جبران خليل جبرانولكم استدعاني جبراننا ليوقفني امام رسم عويص يسالني رايي فيه حتى برعت النظر الى الرسوم وتحليل ما اختبأ وراء صناعتها من الفكر والخيال .

جميل كل رسم وقفت امامه في المكان الذي استدعاني اليه فقيدنا ابو شادي . كلها اخاذ جذاب . كلها بارع الفن والوضع وعميق السر حسن الصنع .

وبعددقائق املت بصري عنالرسوم الى ناحية مضيفي العزيزين فاعدت عليهما سؤالي : لمن هذه الرسوم ؟ ومن الراسم العبقري ؟

عند هذا لمحت محيا ابي شادي وقد رسم الحياء عليه رسما طبيعيا لا اثر للريشة او الدهن فيه وقدحاولت شفتاه تادية الجواب فترددتا فاعيى فتقدمتزوجه به وهي تقول : الا تعلم ان صاحبك احمد رسام فني ؟ هذه طائفة من رسومه الاخيرة جمعها في هذا المكان لعرضها لعالم الفن ورجال المتاحف في هذه البلاد .

ابو شادي رسام فني ايضا ؟ لله ما اعجزني عن ان الم تمام الالمام بمحتويات عبقرية هذا الانسان لله ذلك الافق الروحي ما اوسعه وما اعظمه وما اجله .

ورحت من ليلتي تلك اقول في نفسي : لماذا نطلب العجائب لنؤمن عليها باعمال الالوهة ؟ هي حاضرة معنا لو احسنا التبصر فيها . هي في هياكلنا البشرية لو شئنا استنطاقها

لنطقت محدثة عن جليل اعماله تعالى في خلقه . هذا ابو شادي بذاتــه ، بآثاره، باخلاقه ، مظهرجليل وواضح لعجائب الله في ما خلق . ولقد مات ابو شادي فاستعادت الذاكرة قصيدة شاعر مثله فقدناه منذ عقد ونصف من السنين المغفور له رشيد ايـوب قال في ختامها وكأن قوله كان سبقا عن ابي شادي :

سألناه بلا جدوى وولى ما عرفناه

نيويورك عبد المسيح حداد
صاحب جريدة السائح

ابو شادي والتقارب الاجتماعي

•

قـد تكون كلمات الرثاء في معنـى العزا بالانسـان الاديب الراحـل كالدكتور ابي شادي ، غير كافيــة للتعبير عن حقائق الشعور الداخلي التي تتفاعل بالنفس في شيء مـن الحزن والاسف ، وفي شيء مـن التحسس بالفراغ الطبيعي الذي تركه « ابوشادي » في ناحية التقـارب الاجتماعي بين الجماعات المهاجرةعلى اختلاف مذاهبها الذي كان المرحوم يعمل تحقيقه بوسائل البحث الادبي المجرد ، ووسائط المنطق الصادق في التاريخ، وفيجهة المرافعات التحليلية في استعراض الحضارات الدينية والعنصرية حيث كان عليه الرحمة يبذل اقصى الجهد لانشاء « نـواة انسانية » تبتديء منها نقطة انطلاق التفاهم بين الكتلة المسيحية والكتلة الاسلامية مثالا ، على اعتبار التقـاء «وجهة نظر» الكتلتين في معنىخدمة الانسان في معنى خدمة الاخـلاق والفضائل ، وذلك في اظهار اصدق المبادىء من الحضارتين الصالحـة للتطبيق والاخذ والتجربة .

ولقد توفق « ابو شادي » في هذا الاتجاه الانساني بعض التوفيق في اخراج هذه الفكرة الى وجوده الادبي، ولكنه لم يوفق في غيرها من الافكار التي كانت تهدف الى التقارب والالفة والانسجام ، لان اراءه وعقيدته كانت تصطدم في مفاهيم عقيمة نشأت بين الجماعة والبيئة التي كان يعمل على ان يفهمها ، وهي كانت تعمل عـلى ان لا تفهمه ، ومن المؤسف ان تكون الجوالي ذات اللسان العربي الواحد ، وذات الميول والنزعات والمذاهب التي هي اكثر من واحد ، متحجرة عقليـا في فهم الفقيد ابي شادي ، وفـي فهم غيره من الادباء المهجريين الذين يريدون الخير لاخوانهم ، وما يريـد اخوانهم لهم غير الخير !

رحم الله ابا شادي فلقد حـاول كثيرا في خلق المبدأ الاجتماعي الامثل في ان يكون معتدلا وفي ان يكـون متجددا ، ولكن عجز اللغة العربيةعن استيعاب الفكر الجديد المنبثق عـن العقلية التكنيكية ، ونقص الثقافـة واحتدام الفوارق والغرائز في البيئـة العربية المهجرية التي اوجدها عـلى قلمه ، كانت تمنعه من التجديـد ، وكانت تمنع تجدده من الاعتدال .

ومهما كان اخفاقه او كان نجاحه في النواحي الانسانية فان موته هو خسـارة للادب والادباء لا لغيرهم ، فعليه رحمة الله التي اراده في ديوان شعره . من السماء . . .

مشغن « نهضة العرب » عبدالله بري

نحن نفكر بافواهنا

•

هـذا مقال في الفلسفة . او فـي السيكلوجية ، اذا شئت، ولكنه مع ذلك ليس الغازا لاني واثق ان كل ما يقرؤه سيفهمه .

وعنوان المقال «نحن نفكر بافواهنا» قد نقلته عن تريستان تازارا . ومعناه اننا نفكر بالكلمات التي تنطق بهـا السنتنا . واذا لم تكن لنا كلمـات نفكر بها فاننا عندئذ لن نستطيـع التفكير الا بمقدار ما يفكر الثور او الجمل .

فقد انتهى المفكرون المتعمقون الى ان الناس والاشياء والطبيعة والكـون ليس لها اي معنى او مغزى الا في وجداننا وكلماتنا .

والمعنى من عبارة « وجداننا » هو كيف أجد نفسي في كل هذه الاشياء.

ما هي صلتي بها ! ما هي قيمتهـا عندي ؟ ما هي ابعادي منها او ابعادها مني ؟ كيف افهمها ؟

* * *

الاعتقاد العام بين الناس اننا نعبر عن افكارنا بالكلمات ، كان اللغة وسيلة للتعبير عن التفكير .

ولكن اللغة اكبر من ذلك . فانهـا عند كثير من الناس كل التفكير الذي يفكرونه . وعندنا جميعا هي التـي تكيف التفكير وتكسبه طرازه وشكله. بل احيانا توجده .

ونمونا الفكري وتطوره هما نمـو اللغة وتطورها .

ونحن نعين سلوكنا مع الناس في صور اخلاقية مثل المروءة . الانسانية، الحب البغض . الشماتة . وهـي جميعها صور تثير عواطفنا وتوجهنـا وتكيف احساسنا وتصرفنـا . واذا فقدنا هذه الكلمات فاننا نفقد ايضـا هذه العواطف والاحساسات ولا يبقى الا مقدار ما يجد ثور او جمل منها .

وكذلك الصور الذهنية مثـل السياسة ، الدبلوماسية ، الثقافـة ، التطور ، العلم ، فاننا ما كنا لنجـد هذه الصور في اذهاننا لولا هـذه الكلمات .

اننا نقول . امس وغد . ورجل شهم ورجل نذل . وحنان الام وعقوق الابن . وجميع هذه المعاني نفقدهـا لولا هذه الكلمات التي تعينها وتربط اذهاننا بها .

بل ان الكلمات اكثر من التعيـين والربط . اذ هي تصوغ وتكيف . بل هي تستحدث في نفوسنا عواطـف وعادات عاطفية ما كنا لنجدها لولاها. فان كتاب القصص عندنا قد جعلـوا عاطفة الحب شيئا مألوفا بل هم صاغوا



٢٣ مايو ١٩٥٥ – وصل الرئيس العراقي السابق جميل المدفعي امس الى بيروت قادما من بغداد كما وصلها اليوم الرئيس العراقي السابق توفيق السويدي قادما من دمشق وسيجريان مباحثات مع الحكومة اللبنانية حول الميثاق العربي الثلاثي المقترح وراي العراق في هذا الميثاق انه يؤذي المصلحة الجماعية .

٢٤ – اعلن وزير الخارجية الامريكية جون فوستر دالس انه يرفض رفضا باتا اية سياسة تقضي بجعل المانيا محايدة حتى ولو ضمت المنطقة الشرقية الى المنطقة الغربية .

– اعلنت نظارة الخارجية الامريكية انحكومة يوجسلافيا اكدت للولايات المتحدة بانها ستواصل ممارسة سياسة الاستقلال الجازم وذلك بمناسبة قرب زيارة الزعماء السوفيات لبلجراد . وقد اكد ناظر الخارجية الامريكية بانه ليس هناك اي تبديل في المساعدة العسكرية التي تقدمها امريكا ليوجسلافيا

٢٥ – وصل الى بلغراد الوفد السوفياتي الرسمي ويضم الرفقاء خروتشيتشف الامين العام للحزب الشيوعي رئيسا والماريشال بولغانين رئيس الحكومة والتشيبيلوف رئيس لجنة الشؤون الخارجية وغيرهم وقد جرت للوفد استقبالات شعبية حافلة .

٢٧ – اعلنت نتائج الانتخابات النيابية التي جرت في بريطانيا وقد فاز حزب المحافظين باكثرية لم يسبق ان كان له مثلها .

٢٩ – قدم السيد توفيق ابو الهدى استقالة الحكومة الاردنية الى الملك حسين .

٣٠ – الف السيد سعيد المفتي الوزارة الاردنية وقد صرح بانه يعد العدة لاجراء انتخابات جديدة حرة نزيهة بعد اربعة اشهر.

– انذرت امريكا اسرائيل بعدم الاقدام على اي عدوان جديد على غزة . وقد تقرر انيدرس وزراء خارجية امريكا وبريطانيا وفرنسا الموقف في فلسطين والشرق الاوسط وقضيةالاحلاف العسكرية .

اول يونيو ١٩٥٥ – ما زال اضراب عمال السكك الحديدية مستمرا في عموم انحاء بريطانيا ويتابع كذلك عمال الموانيء اضرابهم. وقد وقعت الملكة اليزابيت امرا باعلان حالة الطوارىء في البلاد .

– افتتحت اليابان والاتحاد السوفياتي مفاوضاتهما السرية لعقد معاهدة الصلح بينهما واعادة العلاقات الدبلوماسية وتسوية المشاكل المعلقة لا سيما قضية اعادة الاسرى الى اليابان.

٣ – صدر بلاغ يوجوسلافي سوفياتي مشترك على أثر انتهاء زيارة الوفد السوفياتي وقد نص البلاغ على وجوب حل المشكلات الدولية حلا سلميا واحترام سيادة الدول واستقلالها ودعا الى خفض التسلح وحظر استعمال الاسلحة الذرية وتناول قضية الصين الشعبية ووجوب قبولها في هيئة الامم .

٤ – في الوقت الذي تم فيه الاتفاق المبدئي على عقد اجتماع للاقطاب الاربعة تقوم الهند بمسعى ذي شقين لزيادة التقارب بين الشرق والغرب . فقد بدأ نهرو رحلته الى الاتحاد السوفياتي كما اوفد ممثله ومستشاره كريشنامينون الى لندن وواشنطن .

٥ – اعلنت هيئة الرقابة الدولية على الهدنة في القدس ان مصر اقترحت انشاء منطقة محايدة على جانبي خط الهدنة على الحدود المصرية الاسرائيلية . وكان الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية قد صرح بان هجوم اسرائيل على قطاع غزة لمحاولة الاستيلاء عليه معناه الحرب.

٦ – اقسمت حكومة باكستان الشرقية الجديدة برئاسة ابو حسين سكار اليمين الدستورية وبذلك انتهت سلطات الحاكم العام الاستثنائية التي اعلنت اثر اضرابات العام الماضي .

٧ – ابدت الحكومة السوفياتية رغبتها بالاعتراف بحكومة المانيا الغربية ووجهت الدعوة للدكتور اديناور لزيارة موسكو .

– وصل الى موسكو البنديت نهرو رئيس الحكومة الهندية وقد جرى له استقبال شعبي نادر الروعة .

٨ – اصدرت حكومة المانيا الغربية بيانا رحبت فيه بالاقتراح الذي ورد في المذكرة السوفياتية لانشاء علاقات دبلوماسية وتجارية بين الاتحاد السوفياتي وجمهورية المانيا الاتحادية .

١٠ – اعلن في بلغراد ان الماريشال تيتو قد قبل دعوة الرئيس شمعون لزيارة لبنانوالمعروف ان الماريشال تيتو قبل زيارة مصر والحبشة ايضا .

١٢ – وصل الى باريس السيد خالد العظم رئيس الحكومة السورية وقد جرت بينه وبين رجال الحكومةالفرنسية مفاوضات هامة ويرافق الرئيس العظم بعض المسؤولين السوريين .

١٤ – انتهى اضراب عمال السكك الحديدية في بريطانيا بعد ان تم الاتفاق بين العمال والحكومة وقد دام الاضراب ١٧ يوما وكلف مصلحة النقل البريطانية زهاء ٤٥ مليونجنيه.

– استقبل الرئيس ايزنهاور المستشار اديناور الالماني وصدر بلاغ يقول بان احد اهداف المؤتمر الرباعي المقبل هو فتح الطريق نحو توحيد المانيا باسرع ما يمكن

– صرح متحدث باسم الامم المتحدة فيغزة ان اسرائيل رفضت رسميا اقتراح مصر بانشاء منطقة عزلاء على حدود غزة .

١٦ – وصل الى لبنان في زيارة رسمية السيد جلال بايار رئيس الجمهورية التركية .

– اعلنت وزارة الخارجية البريطانية نبأ مصرع ضابطين بريطانيين وثلاثة جنود من المتطوعين في محمية عدن اثناء اشتباك وقع مع احدى القبائل العربية .

– اصدر مجلس الاسرة الامبراطورية، الذي جعلت منه التقاليد المرجع الوحيد لتعيين اباطرة انام واقالتهم امرا بخلع الامبراطور باوداي وتعيين نفودنه ديم رئيسا للجمهورية .

١٧ – على أثر النزاع الناشب بين الجنرال بيرون والكنيسة الكاثوليكية في الارجنتين واصدار الفاتيكان قرارا « بحرمان » الجنرال بيرون واعضاء حكومته لطردهم اسقف بونس ايرس ومساعده قامت ثورة عسكرية وحرب اهلية دامية في البر والجو وانقسمت القوات المسلحة على بعضها والاخبار متناقضة .

١٨ – اعلنت محطة الاذاعة الرسميةفيبونس ايرس ان الهدوء يسود البلاد على أثر فشل حركة الثورة .

١٩ – اجتمع في سان فرنسيسكو وزراء خارجية بريطانيا وامريكا وفرنسا والاتحاد السوفياتي لبحث الترتيبات النهائية المتعلقة بمؤتمر رؤساء حكوماتهم الذي سيعقدفيجنيف في الثامن من شهر يوليو القادم .

٢٠ – وصل الى لندن المستشار اديناور رئيس حكومة المانيا وعقد اجتماعا سريا مع السير انطوني ايدن رئيس الحكومة وقد صدر بلاغ يقول بان المستشار اطلع الرئيس البريطاني على المحادثات التي اجراها مع الرئيسايزنهاور حول مؤتمر الاربعة الكبار .

مطبعة العمال اللبنانيين – الحازمية
تلفون ٣١٦٧٤